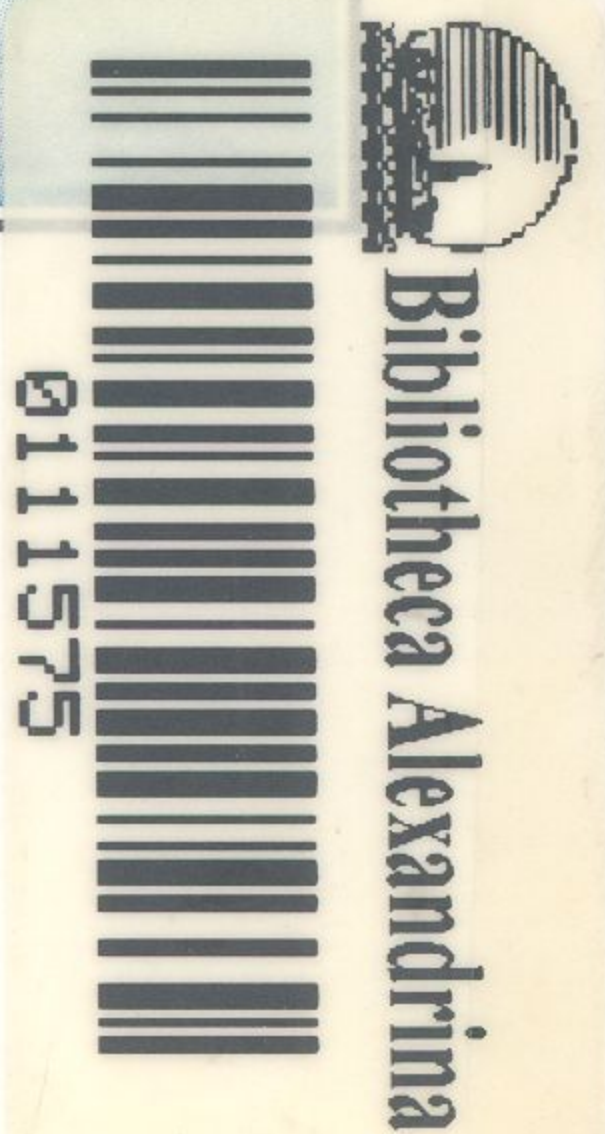


خبرات أنثوية



فاسم مسعد عليوة



خبرات أنثوية

قصص قصيرة

قاسم مسعد عليوة

لوحة الغلاف : للفنان جمال عبد الناصر

الطبعة العربية الأولى : يناير ١٩٩٨

رقم الإيداع : ٩٨/٢٥٢٤

الترقيم الدولي : 1-069-291-977-I.S.B.N



السلسلة الأدبية

رئيس المركز
على عبد الحميد

مدير المركز
محمود عبد الحميد

المشرف العام
على السلسلة الأدبية
خيرى عبد الجواد

الجمع والصف الإلكتروني
مركز الحضارة العربية
تنفيذ: عبير كمال خضر

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات
تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

قاسم مسعد عليوة

خبرات أنثوية

قصص قصيرة



نشر عدد من قصص هذه
المجموعة خلال عامي
١٩٩٥ حتى ١٩٩٧م في
عدد من الدوريات منها :
- أخبار الأدب
- الثقافة الجديدة
- القصة
- حريتي
- الأهالي
- المساء
- الجمهورية
- الأهرام المسائي
- راقدة
- سيداتي وسادتي
- ابتداعات بورسعيدية

الاهـداء :

إلى ثلاث سيدات فضليات

نفثن فيّ من أرواحهن :

جدتي لأمي ..

وأمي ..

وزوجتي

قاسم مسعد عليوة

**"ليست نساؤكم حلى وجواهر
خوف الضياع تُصانُ في الأحقاق"**

حافظ ابراهيم

مدرسة البنات ببورسعيد

٢٩ مايو ١٩١٠م

أراجيح الضوء فى الاتجم البازغة

- | | |
|------------------------|---------------|
| ١- انبهار | ٤- أختان |
| ٢- ياسمينة | ٥- انفلات |
| ٣- كم هن بريئات يا ربى | ٦- بنت وسلتان |

انبهار

اندفعن مهورات إلى الشرفة المنداة بتباشير المطر . تطلعن إلى قوس قزح إذ يحتوى بيوتات المدينة ويصعد فوق البحر ثم يعود فينتشى ويغوص فى الأفق البعيد .. هناك .. حيث لا يعرفن أين .. أحصين الألوان المتجاورة وتواثبن داخل الشرفة وملن إلى السور. مددن أذرعهن القصيرة ، وفردن أكفهن الصغيرة حتى أمسكن بطرف القوس . جاءت إحداهن بمقعد فتواثبن فوقه واعتلين السور.. تشبثن بالقوس وحين صاعدات محاذرات ، الواحدة منهن تلو الأخرى . ولما تمكن منه ، واستقرت أنفاسهن ، رُحن يشقشقن ويضحكن ويصحن مأخوذات إذ يرين الأسطح المنداة وقد صغرت وبعدت وأصبحت كتلك التى يصنعنها بأيديهن فى حصص الأشغال. وعندما وصلن إلى القمة ، رأين السحب حبلى بالمطر ، وسمعن أصواتها إذ تثن ، ورأين البحر فراشاً رصاصياً مغطى بالمشمع استعداداً لاستقبال نفثات المطر . وإذ يلمحن أسراب النوارس وهى تطرز الفراغ من حولهن ، تواثبن إلى الفراغ ورفرفن بأذرعهن . سابقتها ودخلن فى زمرتها وحلقن فى كل اتجاه . إلا أن النوارس كانت تنقض على المشمع وتنقره لتلتقط الأسماك المتخفية تحته قلن البحر سيبتل لو أمطرت السحب، وقلن النوارس تلعب لعبة سخيفة. ورجعن إلى القوس مغاضبات وانزلقن فوقه عائدات إلى الشرفة، وهاهن يقفن منتظرات سقوط المطر الذى سيغسل البيوت ويبلل النوارس والأسماك المختبئة تحت سطح البحر .

ياسمينة

رقية هي الأصابع التي أخذت الياسمينه منى . أرقُّ منها النظرة التي
أوسعت ما بين الجفون وأطلقت الدهشة الطفلية من سواد عينيها . فرحة
متوثة شقشقت .

- لى أنا ؟

- نعم .. لك أنت .

من فورها تركتني وجرت . هناك توقفت . داخل المساحة الجرداء
المحصورة بالنجيل الفاصل بين سور المدرسة والأسفلت . التمت
صويحاتها ومثلها شقشقن . تلاطمت حقائبهن فرمينها والتفنن حولها .
انثت البنت ففهمت أنها تغرسها . رؤوسهن بدورها انثت ، والفيونكات
فى الضفائر تأرجحت . أى شئ يفعلن ؟ .. فى أى أمر يفكرن ؟ .. فجأة
انتفضن وانتثرن .. بنات هنا وأخريات هناك . عدن إلى حيث سوت البنت
التراب بالكاد . الماء يقطر من أكفهن وأفواههن . نعم هو الماء . أكف
مقكرة وأفواه منبعجة . بضع زخات أسقطنها فوقها . زخات مضطربة
وقطرات شعشاء . ألقينها قبل أن تنسرب أو نفثها قبل أن يشرقن .

مبتلة مرتعشة مادت الياسمينه وسط البركة التى صنعنها . فردن أذرعهن
ودرن حولها . صفقن وحجلن وتغنن بكلمات حلوة رشيقة . أفهم تماماً
ما يدور أمامى لكنى ظلت فى مكانى موزعاً بين الفرح والأسى ،
فالياسمينه فى طريقها إلى الذبول لا محالة . ليت المعجزة تتحقق
وتستعصى على الذبول ليتها ...

كم هن بريئات يا ربى

فى كل مكان تَرَاهُنَّ . تَلْفُظُهُنَّ أبواب البيوت فيتناثرن فى الشوارع ويمرحن فوق الأرصفة . تكتظ بهن الأتوبيسات والميكروباصات ويتزاحمن إذ يهبطن منها بأجسادهن النحيلة وحقائبهن الثقيلة . يتوقفن أمام المحلات التى تبتلع قروشهن القليلة ويتكاثفن باتجاه مدارسهن مثرثرات، مشقشقات، منهن الحذرات ، ومنهن اللاهيات . قد تخجل إحداهن ، وقد ترفع صوتها مستعيدة درس المحفوظات أو مقدمة المسلسل التلفزيونى فلا تلفت نظرك ، فكلهن متشابهات الثياب ، لكنك ملتفت لا محالة إلى هاتيك المكحولات المخضبات المتبخترات بفساتيهن المزركشة ، المتباهيات بالفيونكات وتسريحات شعورهن قد يتمهلن فى مشيهن ، وقد يبدن متعجلات ، لكنهن - كما لاحظت - حريصات على عدم افساد ما تعبت الأمهات فى رسة . فإلى الحفل هن ذاهبات ، سيغنين أو يعزفن ، قد يرقصن أو يقمن بأداء بعض الأدوار التمثيلية ، ولربما قدمن باقات الزهور لكبار الزوار ، قد ينسين ما حفظنه وتدربن عليه فيلوحن لذويهن أو ينادين عليهم فتحدث بعض الارتباكات الصغيرة وتعلو أصوات الموجهين، ونرى الحركات العصبية لأيديهم من وراء الستار ، وإن هى إلا لحظات حتى ينتظم الأداء ، ويعدن زهرات يانعات تفتقت بالكاد عن أكمامها ، ستهتف ، وتقول كم هن بريئات يا ربى ، كم هن ساذجات ، حتى تلك التى تسرى فى خفة وتقرص زميلتها وتجرى ، وتفعل ما تفعل

فى براءة يا ربى ، وتلك التى تشد شعر التى داست على قدمها ، تشده فى
براءة يا ربى . إن قلبك يكاد يشف من فرط اعجابك بهن ، وبأحلامهن
البريئة ، لكنك قد تنظر - مثلى - إلى وجوه المدرسات والأمهات والنسوة
الجالسات يتفرجن عليهن فى مزيج من الفرح والحسرة ، وقد نستعرض
أعينهن الخبيرة وأجسادهن المترهلة ، فتسأل أين ذهبت براءتهن القديمة ..
يا ربى .

اختسان

هما الآن تستعرضان ما ينبغي استعراضه ، الفيونكات والفساتين والأشياء الحلوة التي جاءت بها ماما . أخرجتُ الصغرى جورب الكبرى من كيسه ، وبكمتها مسحتُ الكبرى العفار من فوق حذاء الصغرى . الصغرى ربتُ للكبرى الورود التي ستضعها في شعرها ومجموعة السلاسل التي ستختار منها واحدة لعنقها ، والكبرى مشطت شعر الصغرى وأعطتها نوكة على شكل فراشة . الصغرى تقول : "الفراشة؟ ! .. لا .. هات عنقود العنب " الكبرى تضحك : " عنقود العنب مكسور يا فالحة " . تتذكر الصغرى أنها هي التي كسرت فتحبى وجهها بين كفيها خجلاً ، وبطيئاً بطيئاً تُفرِّجُ بين أصابعها . وتنظر لأختها والفراشة البلاستيكية ، والأم خارج شق الباب ، تفيض عيناها بالفرحة . قلبها يهتز وفي جسمها رعدة .

انفصالات

انفلت البالون من أصابع مروة .

انفلتت مروة من أصابع أبيها .

انفلتت الصغيرات من أصابع ذويهن .

تحولت الحديقة إلى ساحة للانفلات والمطاردة ..

إلا أن البالون انطلق صوب البعيد .. الأعلى .. فيما

كان هناك سور وجاذبية وأولياء للأمور .

بنيت وسلتان

مشدودة الظهر بلا ردفين أو ثنيات تمشى . أضواء الصوديوم تتدفق فوقنا نهيرات من قبح وصيد . لا أحد سوانا وخفقات الريح والضباب الذى يلتهم العمائر البعيدة . ينسل ثوبها الطويل حتى كعبيها . لكأنه قميص للنوم . الكمان طويلان يخفيان الكفين القابضتين على سلتين من خوص . الحزام واسع ، عريض وعقدته مهدلة . طفلة . هى طفلة .. شعرها مبدول فى ضفيرة واحدة تتأرجح ثم تتسع لتنتهى بهلال كبير . هذا القرط لا يكون لطفلة . لا يمكن أن يكون لطفلة .. حثت الخطى ووازيتها فلم تشعر بى . لم تبدر منها نامة .. مجرد نامة . القرط وحشى النقوش ، والخد أبيض شمسى . على صفحته زغب خفيف ، نافر ومتوهج بالصوديوم .

قلت : " هذه البنت جديرة بأن ألقى عينى منها " . تقدمتُ عدداً كافياً من الخطوات ثم استدرت . صدرناهد ووجه شاحبٌ مدور . شدتني العينان ، واسعتان . رماديتان .. يا إلهى .. عيناها رماديتان .. صفرة الصوديوم مطبوعة فوقهما ، ومع هذا تأكد لى أنهما رماديتان " . هى لا ترانى " . هكذا خمنت . لم تلتفت . لم ترمش . استمرت فى مشيها . نفس الخطوة . نفس الملامح . ما من اختلاجة تدل على أنها رأتنى .

نعمدتُ أن أقف أمامها . فى مواجهتها بالتمام . فكرتُ فيما عساي أن أقوله لها إن كلمتني . لكنها لم تكلمنى . ولم تغير من اتجاه خطواتها .

هَجَسْتُ : " هـى نائمة أو عمياء " خطوتان وتصطدم بى . حركتُ كَفِّى أمام عينيها فلم يَطرِف لها جفن .. كيف تمشى فى هذا الليل بدون عصاة أو رفيق؟ ... ملتُ عنها فاستمرت فى مشيها . اقتربنا من الضباب أو اقترب هو منا . ثَقِيلٌ ووَاطِئٌ . يلتهم البيوت وأعمدة الصوديوم والشجيرات العارية . قفزتُ عدة قفزات وأعطيت الضباب ظهري . فتحتُ ذراعى لا تلقفها . ماذا عساه أن يحدث إن ابتعلها ؟ .. خطواتها ثابتة مستقيمة لا تزال . " لو أبطأتُ فى مشيها .. " ، " لو أمكننى أن أدفع التقاءهما .. " . هتفتُ : " قفى .. ارجعى .. الضباب " . برقت عيناها . نعم برقتا فارتجفتُ . رماديتان . رماديتان وعميقتان . شئٌ ما أرخى ذراعى وأزاحنى جانباً . هـى ترانى . بالتأكيد ترانى . رأيت ظلى على البؤبؤين . بالرغم من العتمة والضباب وصفرة الصوديوم وجدتُ نفسى بداخلهما فارتجفت من فرعى إلى إخمص قدمى . اختلجتُ . هذا القزم المحاصر بالصوديوم والرمادى هو أنا .

طال الضباب ظهري فتراجعتُ فيما تقدمت هـى بجلبابها وكميها وسلتى الخوص ومشيتها الثابتة ومضت . صافح الضباب الذى فاضت عليه نهيرات القيح والصديد ، وجهها وصدرها . التف حول شعرها . أطراف الضفيرة الوحيدة ما تزال تهتز ، والظهر الذى بلا ثنيات أو ردفين يدخل فى الضباب ، الكُمان الطويلان والحزام المهدل وسلتا الخوص . هـى طفلة .. بالقطع هـى طفلة . يحوطها الضباب فيبزغ السؤال : " ترى ماذا عساهما تحمل فى سليتها ؟ " .

أقمار مراوغة تختبئ تحت قمصان البنات

٤- البـراح

٥- نقاء

٦- الزائرة

١- حـنو

٢- حمّام

٣- صـورة

خمسـو

يمامتان نزقتان حطتا على صدر البنت. فرحت البنت وداعبتهما بحنو. وقفت أمام المرأة ، وراحت تنظر إليهما وهما مستكنتين بين راحتيها . دفء لزيد سرى في ذراعيها ووّرّد خديها . وإذ تناغيهما وتهدهما اكتشفت أن عينيها تبرقان بشيء جديد لم تعهده من قبل . أحست بجلبة أمها في الخارج ، فأسرعت باخفائهما داخل قميصها واندست تحت الأغطية . دخلت الأم ورأت ثنيات الجسم وقد تمرّد على ثقل الأغطية. دارت هنا وهناك تلملم أشياء البنت وترتيبها. وقفت على رأسها تتأمل الخدين الموردين والعينيين الناعستين والبنت في انتظار لاهث . سوّت الأم الأغطية وأزاحت الضفيرة إلى ما وراء العنق ثم خرجت . من فورها وثبتت البنت إلى الباب ، أحكمت إغلاقه وفتحت قميصها ، ثم أخرجت اليمامتين وراحت تداعبهما بحنو .

حمام

تخجل حين تخلع ملابسها في الحمام . تخشى النظر إلى جسدها في المرأة . قد تنظر إلى وجهها وشعرها المبلل ، لكن ليس قبل أن يغطي البخر صفحتها . حين تقترب أصابعها من مواطئ الأنوثة فيها تسحبها بسرعة . تقتحم الكهرباء رغاوى الصابون وتنفلد إلى دماثها وتصعد إلى الدماغ والعينين . ما تزال لسعات الحزام الذي مزقته أمها على لحمها وهي طفلة توجع ذاكرتها ... " سأكويك بالنار " .. " حرمتُ يا ماما ، حرمتُ " .. " سأدهن حلقك بالشطة " .. " حرمتُ والنبى ، حرمتُ " .. " هذه المرة أوقفت مياه الدش ومسحت غبشة المرأة ونظرت لمرتعشة خائفة مدت كفيها وقربت أصابعها ولمست . اشتعل جسدها وغامت عيناها . استندت بظهرها إلى القيشاني متلاحقة الأنفاس دائخة . لحظات ثم تمالكت . عقصت شعرها وأفسحت بين ساقيها ووقفت أمام المرأة طويلاً ، وأمها في الخارج تفكر في الحبة التي ستقتحم بها باب الحمام .

صورة

ذاقت طعم القبلة الأولى ، فى غفلة من الأهل ومن الناس ومن القمر المتلصص . استدفأت بالحضن الأول ، واستمتعت بالهمسات الناعمة ، وإذ ينعمان بوقتتهما المختلس ، قالت : " أنا لك .. افعل بى ما تشاء " . وهاهى - من لحظتها - منزوية فى ركنها المعتم تبكى نفسها وتنتظر . ترفع بصرها إلى أبيها وأخوتها إذ يطلون عليها من الصورة المعلقة فى مواجهتها ، وتحاول أن تقرأ فى ملامحهم ما عساهم أن يفعلوه لو علموا .

البراح

تنفستُ بعمقٍ وهى تقف وسط كل هذا البراح. صمت الطبيعة يحتويها ،
وأسراب اليمام تظللها ، تزرکش قبة السماء ، وتميد صاعدة هابطة فى
دوائر لها كرائش ، والشمس المستحبة تتخفى وراء الأشجار البعيدة .
لعلها خجلت من النظر إليها . وهى وحدها وسط كل هذه الخضرة ، وسط
كل هذه الزهور ، وحدها ولا أحد سواها فى هذا الخلاء . أحسن أبواها
لما جاء بها لزيارة عمته . " كم أنت طيبة ورائعة يا عمتى " . تعيشين
وسط هذه البهجة وتنعمين بكل هذا الجمال " . إن لم تكن هذه هى
الجنة فماذا عساها أن تكون ؟ "

أحسستُ بجسمها خفيفاً فجرتُ ولَفَّتُ ودارتُ . أطاحتُ بحداثتها
وفكتُ شعرها . فتحتُ صدرها وأرجحتُ . فستانها آه لو طارتُ مثلما تطير
هذه اليمامات . ارتمتُ على الأرض فأحاطتُ بها الزروع . غنَّتُ فجوابها
الكروان . قفزتُ فتحلقتها الفراشات ، ولما وقفتُ توائبت حولها الضفادع
خضراء . مرحة . فردتُ كفاً فحطَّتْ عليها فرس النبی . نهافتت روحها :
" آه يا ربى يا مبدع كل هذه الخلائق " . وضعتُ الفرسة على ورقة خضراء
وانشتُ فوق زهرة . نحلة مشغولة بامتصاص الرحيق أمسكت فرع صفصافة
واستهواها التارجع فوق الترة فتأرجحت ، رؤوس الأسماك علَّتْ .
شقت فستانها المقلوب فى الماء ، ورَّنت . صورتها تسبح أسفل منها .
معكوسة لكن فتانة . مستُ الماء بإبهامها فطرطش وامتد خيطان أبيضان

طويلان على جانبيهما . تقافزت سميكات صغيرة فالتمعت بالفضى
والأحمر ثم غطست .

شدتها الأوزات التى مالت عنها عساليج السيسان فوثبت إليها
صاحت وفتحت أجنحتها وطار زغبٌ وارتمين على صفحة الماء . رأت
رأس عنزة فاستدارت نحوها . اكتشفت جذياً يلاقحها . جذى له لحية
مرسلة وقرنان ملتفان . رأياها فجفلا وجريا وراء أشجار التوت والجميز .

تفجرت أشياء بداخلها فطفقت تشمم الزهر وتجرى تفتح ذراعيها
وتنكش شعرها وتصدر أصواتاً غير مفهومة . هو هو .. هى هى .. هاها .
خاصرت نفسها ورقصت ، تشققت . ضربت صدرها وردفيها . هصرت
ثديها بجذوع الأشجار وتمرغت فوق أكوام القش ، وحينما حط أبو قردان
أمامها بجسمه الأبيض الرشيق ورقبته النحيلة ، توقفت . تأملت عينيه
ومنقاره ثم جثت على ركبتيها ، رفعت وجهها باتجاه السماء واخترقت
بعينيها زركشات اليمام . بمنتصف القبة التى اصطبغت بالأحمر تعلقتا .
وبطياً بطياً رفعت كفيها وتضرعت : " لا تعيدنى يا ربى إلى بيتى فى تلك
المدينة . ابقنى هنا . امتنى هنا . ابعثنى من هنا أرجوك .. أرجوك يا ربى " .

ولأن الشمس كانت قد غادرت الخمائل البعيدة ، وانحدرت وراء
الخضرة التى اغمقت ، فقد لمت شعرها واغلقت صدرها ، سوت فستانها
والتقطت حذاءها ، وعادت خفيفة متوثبة إلى دار عمتها .

فوجئت بالعيلة واللمة . أبوها وأمها وعمتها وكل الأقارب على عتبة
الباب يجلسون . استرايت . " كأنما هم فى انتظارى " . أبوها منكس الرأس
وهم متوترون . نطقت أمها : " اخص عليك بنت .. من بكرة حا نساfer " .

لم تفهم . نظرتُ إليهم تستنطقهم " ، فقالت عمتها : " بصراحة كدة ، مفيش حدانا بنت تعمل اللي عملتيه وتفرج علينا أهل الكفر كُلتهم " . صكَّتْ صدرها وانكمشت خجلى ، وأمام عيونهم المفتوحة أغلقتُ عينيها على سؤال مُحير " أين تراهم أهل الكفر كانوا يخبثون ؟ " .

نقاء

لو تجسد الطهر في صورة تشبهني لكنت أنت . هل تكونين إلا ملاكاً
خصني الله بك ليريني من آيات فضله ما يُعين على نفض أدران البيت
والمرقص والشارع ؟ .. يا ابنة النور اعذريني إذا ما قصّرتُ في حقك ،
واعفيني من لوم عينيك إن عجز جسمي عن التطواف الأبدى حولك ، أو
عاودتُ قدماي الجنوح إلى مواطن الزلل . اسمحي لي بقليل من الانفلات ،
قليل من الوسخ فما أنا إلا بنت مسكينة من لحم ودم ومعدة وطين .. أما
أنت .. آه .. أنت .. أجلك .. كم أجلك . ربما صورك الله مثل هيئتي ،
لكن ما من حسن إلا هو فيك . ما من خلّة طيبة إلا ألمحها في محياك ..
في كل ما يبين من قامتك يستكين النور .. نور بسيط .. هادئ . نور غير
قابل للخدش من ظل أو من عتمة . في سكنااتك يتضوع المسك . أترينني
أسكن فؤادك يوماً . كم أنا ظمأى لريك ، فطهريني وخذيني إلى نقائك .
خذيني من ظلمة البيت والمرقص والشارع . كم هما جميلتان هاتان اليدين
البريثتين . مديهما إلى " واحتضنيني . لفي على جناحيك وأريحيني على
صدرك . هل هناك أطيب من أن تريح معدبة مثلي رأسها على صدر ملاك
رائع النقاء مثلك ، لكن مهلاً .. إلى أين تذهبين بأصابعك . آه .. اتركيني ..
يا إلهي .. كل هذا الشبق في عينيك ؟ .. من أنت ؟ .. من تكونين ؟ .. ابتعدى
عني .. اتركيني .. بي ما بي ، لكنني أبداً لا أفعل ما ترغبني ..

الزائرة

عندما كانت تأتي لزيارتهم كان مجرد طفل . طفل ممتلئ يتباهى أبواه بأنه الوحيد بين أخوته المرتب المهندم الذي يسمع الكلام . أما هي فكانت شيئاً كبيراً ورشيقاً . ترتدى التاير وتمسك حقيبة جميلة تخرج منها أشياء حلوة كثيرة . كراملة وشيكولاته وأشياء تفرقش وتمتط . قد تخرج أيضاً مناديل ملونة تمسح بها ما يكون قد علق أو التصق بشفتيه أو أنفه أو ذقنه .

كلام كثير يقال فى الصالون عندما تجئ ، فيجلس إليهم واضعاً كفيه على ركبتيه أو عاقداً ذراعيه على صدره ولا يفهم شيئاً . لكن ما تقوله يخرج من فمها منمنماً حلواً ، وأخوته الأغبياء يحرمون أنفسهم من هذه الحلوة . يختبئون منها ويلعبون بعرائسهم . لو جاءوا لفهموا وأفهموه ، كانت تستأذن من أبويه وتجلسة إلى جوارها . تمسح شعره وتربت على ظهره وتعطيه بأصابعها الطويلة ما تجود به الحقيقة فيشكرها ويحنى رأسه خفراً وخجلاً .

وقد يحدث أن يدفعه أبواه - ما دام هو الوحيد الذى يجلس إليها - لاستقبالها ريشماً يفرغان لها ، أو يتركانه لها لينهضا إلى بائع اللبن الذى يربصان به لأنه بدأ ينقص المكيال ، أو تكون سعادة الخدمة قد فتحت لها وأبوه وأمه غير موجودين فى البيت . فى مثل هذه الحالات كانت تناديه " تعال جنبى .. اقترب " وتشير إليه بأصابعها الطويلة ، وبالحقيقة المفتوحة تغريه ، فيأتيها طائعاً مستسلماً لتضعه فوق حجرها . من فوره يشعر أنه قد

وقع فى قبضتها ، فيهتز ويحاول التملص بينما هى تمط فى ابتسامتها وتنهمر عليه تقييلاً، وتمد يدها إلى بنطلونه. ما تفعله غامض لكنه لا يستطيع التأوه ، ففمها لا يغادر فمه ، ولا يمكنه ضربها بكوعه ، فلراعاها تمنع ذراعيه من الحركة . لا يعرف كيف يفر ، ولا يجروء على تصرف طائش يفضب أباه وأمه . ثم هى جميلة ، تقول كلاماً منمنماً حلواً، وحقيقتها ملأى بالمفاجات.

لكنها ، كما يحدث دائماً ، ما أن تسمع صوتاً قادماً حتى ترفع رأسها وتفك ذراعاها وتجلسه على الكنية المجاورة، ويهدوء تخرج من الحقيبة مفاجآتها وتبدأ فى تحريك شفثيها بالكلام المنمنم الحلو . ولم يحدث أن عرف أحد سر التورد فى خديه ، ولا سبب الاضطراب فى ملابسها .

براعم الاخوان إذ تتأود فوق المدرج

- ١- تنهيدة
- ٢- الكونش
- ٣- عسل وكستناء
- ٤- شخبطات
- ٥- سترة

تنهيدة

أحبت الأستاذ . ما يقوله هو السحر . أدمنت الاستماع إلى حكاياته .
عشقت البلاد التي زارها ، وهامت بطابع الحُسن في ذقنه . لطالما غسلت
بعينها كفه وأزالت الطباشير اللعين من فوق أصابعه الجميلة . أصابعه التي
تشرح وتفسر ، تتفرض وتسكن ، وتقول ما لا يقال . وكأنها تتكلم هذه
الأصابع ، وكأنها تنطق . كم هو أنيق ومهذب . بعد أن ينتهي تجرى إلى
الممسحة فتمسكها ، إلى إصبع الطباشير فتضمه ، إلى السبورة فتلمس
خطوط أصابعه ، مَرَّتْ هنا .. آه وهنا .. لكنه لا يعلم . تلتقط الأزهار
الصغيرة وتشبكها في شعرها تارة ، وفي قميصها أخرى . تُلقى بأشعار
المحبين على مسمع منه . تسأله عن الجغرافيا فيجيب . عن تاريخ الأمم
فيفيض . تسأله عن كل شيء .. عن المجرات والشموس ، والقمر .. القمر
المشهد مثلها . تود أن تسأله عن ليله . عن نهاره . من يطبخ له . من يسهر
معه . ما سر هذه الكرمشات في قميصه . ولماذا جرح ذقنه . لماذا مال
خطه على السبورة . لكنها تخجل ولا تفعل أكثر من أن تغلق عينيها عليه
وتتنهد.

الكوتش

ساقاها طويلتان ملفوفتان . ترتدى البنطلون . لا يذكر أحد أنه رآها ترتدى فستانا أو جونلة . إن مشيتُ فهي تدب على الأرض ديباً ، وإذا ما صعدتُ المدرج أفسح لها زملاؤها لعلمهم أنها ستقطع الدرجات خمساً خمساً . تلعب الرياضات العنيفة .. التايكوندو والكاراتيه وترفع بعض الأثقال . شوهدت مراراً في الجمنزيوم وهي تلکم أكياس الرمل وبالونات التدريب وتعتلى حلبة الملاكمة . يدعوها زملاؤها بالكوتش ، ويلقبها الأساتذة بالخطيرة . إذا ما نشبت مشاحنة يكفي أن تنهض ... فقط تنهض .. فيبلغ كل لسانه . يوم أن رأوها بالبلوزة والجيب اندهشوا . ولما لم تنهض لفض مشاجرة نشبت هجسوا ونهامسوا بأن أمراً جلاً قد حدث . وحينما لمحوا أثاراً خفيفة للأحمر الذى حدثت به شفيتها أيقنوا أن فى الأمر رجلاً . ومن ساعتها لاحظوا أنها لم تعد تذهب إلى الجمنزيوم .

عسل وكستناء

عيناه عسلتان ، وشعرها كستنائى . ودَّتْ لو قالتْ له : " أحب العسل " وتمنى أن يسألها : " لماذا الكستناء بعيد المنال " . لكن الراحين والغادين شغلوا الفراغ فيما بينهما . هى جالسة فوق قاعدة الشئ الذى لا شكل له ، وهو مستند إلى الحائط بظهره . لاحتْ قامة الدكتور فى نهاية الممر فاندفعا مع المندفعين إلى باب المدرج . بينهما الكشاكيل وملفات الأبحاث والحقائب والأجساد المثثرة . قبيل الباب تماسا . ضغطتهما الزحام فتماسا . لا . التصقا . فالكثف بالكثف التحم . " عيناه عسلتان يا ربى " . " شعرها كستنائى يا إلهى " متجاورين صعدا المدرج ، ومتلازمين انتحيا مكاناً وجلسا . زاحمهما الآخرون ، لكنهما حافظا على صفائهما وصمتتهما والفراغ الضئيل فيما بينهما . على (البِش) تراصتْ الكشاكيل وملفات الأبحاث . فوق كشكولها وضعتْ كفاً . طرية ، ناعمة ، لها أظافر مطلية بلون هادئ . مدَّ كفه وأرقدما على (البِش) بين كشكوله وكشكولها . فردما على آخرها وأوسع ما بين الأصابع قدر استطاعته . زحف بها قليلاً ، وأصعد خنصره كعب كشكولها . الدكتور يقول كلاماً لا يسمعانه . هو مشغول بخنصره وهى مشغولة بالانتظار . مَسَّ الخنصر إبهامها فأعطت وجهها المشتعل ، كل وجهها المشتعل للدكتور . من الإبهام تسرى رعشات الكهرباء ويمتد خيط اللهب . دون أن تنظر إليه قالتْ " أحب العسل " ودون أن ينظر إليها قال : " أحب الكستناء " ، وتلاشى الفراغ الضئيل فيما بينهما ، بينما أخذ الدكتور يتكلم ويتكلم .

شخبطات

تضايقها اندفاعات الزملاء فتقف محتضنه كشكول المحاضرات وترقبهم وهم يتزاحمون بحقائقهم ونظاراتهم وأذرعهم ويتصارعون على الصفوف الأولى . تدخل بعدما يخف الزحام . تشق طريقها بتؤدة إلى أعلى المدرج ، وتجلس في آخر صف . يدخل الأستاذ فيسقط الصمت على الجميع ، وما يلبث أن يذوب ، ويتبدد . تُملئ عينيها من ظهورهم وأقفيتهم وقشور الرؤوس المتناثرة فوق أكتافهم . ترسم ما تراه في الكشكول خطوطاً عرجاء ملفوفة ومتشابكة . ترى الالتصاق الخفى بين الأكواع ومنابت الأثداء وتلصص الأكف على الظهور والأرداف ، فتكتب أسماء الفاعلين والفاعلات وتحيطها بتعرجات وشخبطات ما تلبث أن تتحول إلى حيوانات شوهاء فيكون لكل حيوان إسما .

تُدرك أنها تختلف عنهم ، فهم يأتون بما لا تقدر عليه . تمنى لو تستطيع الدويان في عوالمهم ، تصخب وتهرج وتلقى لمسة هنا أو هناك ، لكنها أبداً لا تستطيع . ينتهى الأستاذ ويخرج فيتدافعون بحقائقهم ونظاراتهم وأذرعهم ، بينما تنتظر حتى يخف الزحام ، فتحصى الشخبطات التى رسمتها وتغلق الكشكول وتهبط المدرج بتؤدة . وتتجه إلى الخارج .

سترة

يستغربن وجودها بينهن بـُحليها الغالية وعطورها الباريسية وثنيات
الاشمئزاز التي لا تغادر أنفها أوزاويتي شفتيها . هي أيضاً تستغرب
وجودها بينهن . هاتيك الفتيات المتبجححات اللائى يسوين رؤوسهن
برأسها . إذا ما حادثنها ترد بيروود من لا يرغب فى المزيد ، أو تُصعّرُ لهن
خدها ، أو تشيح بوجهها عن ثرثراتهن وروائح أسنانهن العطنة . وهن
اختزلن لغة الحديث معها ، وحولنها إلى اشارات بكماء وهزات رؤوس
ساخرة . مجرد إشارات أو هزات .

يذكرن يوم علقت جوبتها فى مسمار بالمدرج فشققها نصفين وعرى
مؤخرتها لتقف كدجاجة متوفة . تنهشها عيون الجوعى من الطلاب .
بأريحيتهن أسرعن فذرنها بأجسادهن وهتفن بالطلاب أن يتعدوا ، وظللن
معهما حتى سترنها . هي أيضاً تذكر ما كان منهن عندما جاءتهن فى اليوم
التالى ببعض فساتينها ثمناً لهذا الصنيع . وتذكر نظرات أعينهن وهن يلقين
بها فى وجهها الواحدة منهن تلو الأخرى .

لا شئ يربطها الآن بهن سوى إشارات التجافى . " جئتُ إلى الكلية
الخطأ ، فى الوقت الخطأ " . هذا ما قررته لنفسها . وهاهن هاتيك
المتوحشات يُحطن بها . ينبشنها بنظراتهن ، يدعين تعالى ، ويفترسها فى
خلواتهن . تعرف هذا الصنف من الناس جيداً . لديها عينات مشابهة .

الشغالون والطباخون والجناينية وموظفو أبيها .

اليوم هو آخر يوم يمكن أن يلتقين بها أو تلتقى بهن . يرتدين الأرواب والقبعات وهى بينهن ، بدر فى ليلة التمام . تشعر بنفسها شديدة الفتنة ، وترى الانبهار بجمالها فى عيون الأساتذة وأولياء الأمور . لحظات وينصرف الكل ، ولن تعود إلى هذه الكلية أبداً . ستصافح الدكاترة ويسلمها العميد شهادة التخرج . بعدها ستلقى بالشهادة أمام أبيها وتطلب منه أن يفي بوعدده لتكمل تعليمها فى السربون أو هارفارد أو بنسلفانيا . هاهى الأيادى تمتد عبر المنصة لمصافحتها . وهاهى ذى الشهادة ملفوفة ومحاطة بشريط الستان ، وأصابع العميد تبدو ثابتة عليها . تقف فى المنتصف تماماً . خطوات وتنتهى . العيون ، كل العيون ، تتطلع نحوها ، تَمُدُّ يدها .. يا الله .. الروب والفستان يمتطان ويتمزقان لتقف كدجاجة منتوفة وسط الجميع . بسرعة سحب الصنارة وافتعلن مظاهر الجدد ثم الفرع ، وقمن متباطئات مشفيات لسترها بعدما نهشتها عيون الطلاب وأولياء الأمور والأساتذة والعميد والسعاة الذين تركوا الأبواب وتقدموا نحوها .

فراغات باتساع الشوارع والأرصفة

- | | |
|-----------------|------------------|
| ١- عبور | ٦- حساب |
| ٢- تجاوز | ٧- عريس |
| ٣- فى الممر | ٨- تساؤل |
| ٤- عبر بنائتين | ٩- معاً |
| ٥- للشقراء أغنى | ١٠- بعض من لدونه |

عبور

وكان أن جلستُ فجلستُ قبالتى تماماً . لا يفصلنا إلا نهر الشارع .
جاءنى النادل بما طلبتُ ، وجاءها النادل بما طلبتُ . أشرتُ لها فبادلتنى
الإشارة بمثلها . طلبتُ بإصبع أن تترك جلستها وتأتينى ، وأشارت أن أعبّر
نهر الشارع وأتيها . فكرتُ فى أنها تريد - ومنذ البداية - أن تكسر شوكتى ،
فألححتُ أن تنهض وتعبّر أمتار الشارع القليلة ، ولكنها أصرتُ على البقاء
فى مكانها وطلبتُ من النادل مشروباً آخر . طلبتُ مثلها وأشرتُ بأنها
ستبهر بما أعدده لها إن نهضتُ ، فأكدت بأنها سترحب بى إن قمت إليها ،
ولم نلتفت إلى تكاثف السيارات المارقة بيننا إلا حينما اضطررنا لأن نميل
بوجهينا ونشرئب بعنقينا ونرفع أذرعنا حتى يفهم كل منا إشارة الآخر .
عندئذ نهضنا نحن الاثنين ، وفى وقت واحد حاولنا عبور نهر الشارع ، لكننا
لم نستطع .

تجاوز

ابتسم لها بشئ من الارتباك فأطرقت خجلاً، وتجاوز كل منهما الآخر. لما ابتعدا قليلاً التفتا معاً . التقت عيونهما ثم تابعا المسير . فرح عظيم داهم قلبها . بغير ما إرادة توقفت . استدارت فرأته هناك .. قرب المنعطف . هو أيضا توقف ، ومثلها استدار . حمامات رفرفت في الفراغ الفاصل بينهما . ودت لو هرولت إليه ، لكنها تراجعت . شددت قوامها وعادت المسير ، إلا أن خطوها اختلف وأنفاسها تلاحقت .

في أول زقاق مالت . كيف جرؤت ؟ .. كيف طاوعتها قدماها ؟ ... من الزقاق انعطفت إلى أول حارة، ومنها إلى الممشى المفضى للشارع الذي التقيا فيه . شددت قوامها وسارت باتجاهه . هو أيضا سار باتجاهها. تواجها. ابتسم لها بشئ من الاندهاش فأطرقت خجلاً وتجاوز كل منهما الآخر .

فى الممر

الفتاة بالتاير الوردى والقرط الوحشى بزغت من نهاية الممر . تأودت
ومرقت فيما يشبه الحلم . لم ينالنى منها سوى عطرها الغامض . خليط من
لافندر وياسمين . ربما . ربما هو عطر جسدها المتوقد . ربما . قبس منه
هو الذى أترعنى . أترعنى والجالسين والعابرين . هاهى ذى الدهشة تعقد
لسانى وألستهم . جميعنا تسمر مأخوذاً باتجاهها إلا امرأة عجوز . متحررة
من الأسر أخذت تحملىق فينا وتضحك . تشير إلينا وتضحك . تدور
حوالينا وتضحك ، فيما ظل العطر يتضوع فى الممر ويلفنا ، وما من أثر
للفتاة بالتاير الوردى . ما من أثر .

عسبر بنايتين

يقضى معظم الليل فى التطلع إليها . تتصاعد تهديداته وتهمس من أسفل شاريه . تنزلق من النافذة وتعبّر الفراغ الفاصل بين البنايتين . قد تهتز لضوضاء العربات المارّة فى الأسفل حتى ليُظن أنها ستهوى من حائق ، لكنها فى كل مرة تطفو وتموج وتنسرب فى الفضاء المتبقى وتصل إليها . تلتصق بمنبتى الشديين المكشوفين حارّه لاسعة ، فلا تخفيهما بكفيها ، ولا تتحرك من مكانها ، وتظل فى وقفها تنظر فى كل اتجاه إلا اتجاهه . يناديها أبوها فتدخل . تحس بنفثاته تُلهب ظهرها فلا تلتفت وتمضى إلى أبيها ضاحكة .

للشقاء أغسني

غنيتُ للشقاء المتكئة على سور الشرفة . رفعتُ رأسي باتجاهها
وغنيتُ . زفراتُ حَرَّى ضمختُ بها غنائى . وضعتُ يدي على قلبي ،
وقللتُ المطرب الشهير ، لكنها لم تسمعني . هذا ما فهمته من عينيها
الساهمتين باتجاه البعيد . أذبتُ نفسي شعاعاً وعرضتها تحت عينيها بالتمام
فنظرتُ إلى . ليس أمامها إلا أن تنظر إلى . شئ ما تحرك في عينيها .
ابتهجتُ فضممتُ كفى ومددتُ ذراعى مثلما يفعل المدلهون حبا .
أعطيتُ وجهها وحركتُ زاويتي شفيتها . هي تبسم أو تشرع في الابتسام
أمعنتُ النظر لا تأكد من أنه ليس وهما . بالفعل هي تبسم . خفيفاً اندفعتُ
إلى عامود النور ، خاصرته بلراع وفردتُ الأخرى مثلما فعل النجم
السينمائي . لو شاءتُ أن أفعل ما هو أكثر لفعلت . لو أرادتُ أن أطيح إليها
لطرتُ ، في عينيها دعوة لأن أعود إلى حيث كنتُ . أسفل منها بالتمام . ربما
قالتُ لى شيئاً . ربما أنزلت لى حبالاً . فى وثبة كنتُ حيث فهمتُ . حركتُ
يديها . لعلها ستكلمنى بالإشارة . ربما لوحت لى . ربما كلمتني بأصابعها
. لعل أحداً بالداخل تخشى أن يكشفها . لا يهم ، أنا خير بلفة الإشارة
ركزتُ اهتمامي فى الكف التى رفعتها . علقتُ عيني بأصابعها إذ تفردتها ،
لكنها رمتُ قشوراً من اللب فوق رأسي ثم أشاحتُ دون أن تضحك ...
حتى !!

حساب

هاهن يمشين متبخترات ، متخلعات ، يملأن الشوارع والحارات .
نضج بحركتهن الردهات والممرات ، يثرثن فى المكاتب ووسط الآلات .
يتدافعن بحقائبهن ويطلعن بأجسادهن الصغيرة والممتلئة ، بأثدائهن
المشدودة والمترجرجة . يؤرجحن جماجمهن ، ويسوين شعورهن
وخمرهن . يقفن ويساو من ويحلفن ثم يمضين غاضبات أو راضيات وربما
مستهترات . قد تنفرج شفاههن عن ابتسامة أو تُزم على تكشيرة ، لكنهن
دائماً شاحبات على الرغم من الأصابع والحلى الأصلية والمزيفة ، فهناك
فى البيت رجل أو ولد ، يجب أن تحسب له كل واحدة منهن ألف حساب .

عريس

ودَّتْ لو حملها النسيم وحلق بهما فى الفضاء . لو أجلسهما فوق
نجمتين وأرجحهما داخل الهلال المعلق فوق المدينة . فكم هى مليئة
بالخير والحب هذه الحياة. ما من شئ إلا يلمع ... يبرق .. يضىء . وفى
الداخل ذلك الوجيب اللذيذ ، وتلك الفرحة التى تشعر بها قوية .. طاغية .
قال لها: أحبك . وقال لها : سأتيكم وأهلى ونطلب يدك . تركتُ كفها
تستكين فى كفه واستراحت له . بعدها ، فردا أذرعهما وطفقا يجريان
ويرقصان . يهتفان للحياة وللحب . وحينما انبثق أمامهما ذلك الشرطى
المستريب ، فوجئتُ به يتركها ويجرى مختفياً فى أول انعطافة ، بين الأبنية
السوداء المتكاثفة هناك .. حيث لا شئ غير الظلمة ، بينما سَمَرَتْها عينا
الشرطى فى أسفل الطريق.

تساول

البت فى الشارع الآن . لا يوجد رصيف ، لكنها على حجر أمام باب
العشة تجلس ، عيناها مثبتتان على الداخلين والخارجين . ذقنها المدببة
مستريحة على كفيها وكوعاها مفروسان فى فخديها . تقول هذا الرجل
جاء من قبل . هذا الرجل لم يأت من قبل . هذا الخارج أعطانى جنيها ،
وهذا الولد شتمنى . ومن الداخل تأتيها الأصوات التى لا تفهمها ، فتساءل
عما يحدث ولا تراه ، ولماذا تنبه عليها أمها بعدم الدخول عليها فى هذا
الوقت بالذات .

معا

أربع فتيات ينمن فوق الرصيف . فوقهن خيش وتحتهن خيش .
إحداهن فركت عينيها . قرطتها مفكوكة ولمعة النوم فوق جبينها ، الكوز
فيه بعض الماء والورقة التي أكلن ما كان فيها مزنوقة بين إيهامها وكعب
إحداهن .

ظل الرجل بالباطو واللفافة الكبيرة ينفرش فوقهن . حملت فيه الفتاة
وجلست فأفقت . ثلاثهن أفقت . مثلها حملن في الرجل . أشار باتجاه
واحدة :

- أنت .

همت بالنهوض فأمسكن بها . في نفس واحد نطقن :
- معا .

وزع بصره بينهن وبين اللفافة . في اللفافة زجاجات وأرغفة وأجبان .
هز رأسه أن لا بأس فنهضن . كوثن الخيش ودخلن تحت إبطية . لكل إبط
اثنان ، وإذا يمشى بهن حاولن ، كل واحدة على حدة ، أن تمسك باللفافة .
تمسكها أو حتى تمسها . لكنه في كل مرة يقصبيها عنهن ويمشى فلا يملكن
إلا أن يمسحن أنوفهن ويستحلبن لعابهن ويمشين معه .

وفي منطقة الضوء الباهر، هناك.. تحت الفانوس .. فرد العسكري الورقة
أم خمسة التي منحها إياه ذو الباطو وندت عنه "ياه" طويلة ممطوطة،
وارتكن إلى العامود متخيلاً الأشياء المبهرة التي سيفاجئ بها أولاده في
الصباح .

بعض من لدونه

وطء السنين يُثقل خطوى واهتياج الماء فى النوافير ينعش روحى .
ماذا تبقى لى بعد كل هذا العمر غير وجع المفاصل وتقطع أنفاسى ؟ ..
ليتنى ما اختبأت من طائر الحب . ليت برائته تخطفتنى وأخذتنى إلى حيث
لا أدرى ولا أطيع . تعال أيهذا الطائر وادفع برذاذ هاتيك النافورة
المحاصرة بأعمدة الصوديوم ومربعات الجرانيت الملون إلى وجهى .
الميدان فارغ إلا من تعاستى والتباسى ومواء القطة التى لا أراها ، فاغمرنى
يا طائر الخرافة بهذا الرذاذ ، وضمخنى بنداوة العشق فالدم فى عروقى لم
يتخثر ، والقلب به بعض من لدونه ما يزال .

بالظى الحلم الذى يتوهج وقتما يشاء ويخبو وقتما لا أريد ، أحذر
البروق التى تصطرع فى سمائى . صمت الليل وصخب الماء يشجران
وسط الميدان ، والصوديوم ينز صديده فوق ألوان الجرانيت ، كعباى
يهتزنان فوق الأسلفت ، والقطة الخفية لا تبين فتعال أيهذا الطائر . كم
أتشهاك ياذا البرائن ، لكنى كعهدى - ما زلت أخشاك . لا تبالى باضطرابى
وتعال . رَوِّحْ عن قلبى . ارفع عنه أثقاله . لكنى ككل مرة سأختبئ منك .
لا أقدر عليك فأنت صنو المهالك ورفيق الردى .

هأنذا أزحف بقدمى إلى النافورة واستعد . اهبط إلى البركة واستعد .
ارفع رأسى واستعد . لكنك لا تأتى . لا تفرد جناحك وترفرف . لا تدوى
بزعتك الراجفة . وماهم ينبشون لا أعرف من أين ؟ .. القبيح يهمنى فوق

رؤوسهم ويتقدمون. يتحلقون النافورة ويتزاحمون . يحدقون فى
ويطرقعون أكفهم عجباً واستهزاء. أحدهم يتخطى حاجز البركة ويمد يده .
يرفعنى فينالنى صديد الصوديوم وقبح الجرانيت . يطيب خاطرى ويمشى
بى فوق الأسفلت فيعاودنى وجع المفاصل . شعرى مهدل تحت الطرحة
والماء يسيل من أطرافى . أنظر اليه وأقلب بصرى الكليل فى بهمة السماء.
أنادى طائرى أن يأتى ، لكنه لا يأتى . والرجل ما يزال يسندنى وخطوه مثل
خطوى بطئ .. بطئ .. بطئ .

نبض النار في زبد البحر

- | | |
|----------------------------------|------------------------------|
| ١ - القروية التي تغنى أمام البحر | ٥ - الجورب كحلى والخطى واثقة |
| ٢ - امتلاء | ٦ - غواية الأزرق الفسيح |
| ٣ - العابرون | ٧ - فنار |
| ٤ - وجه من ضوء وغيمة من بنفسج | ٨ - زنبقة |

القروية التى تغنى امام البحر

يا لروعة ظهرها المشدود ، وضميرتها المعقودتين من الخلف . انظر إليها إذ تقف أمام البحر وتغنى ، تلك القروية المستوحدة بنفسها . كفأها تحت إبطيها ، والزهور فوق فستانها تهتز . تستقبل الأفق ولا تكاد تُحس بالماء إذ يلامس قدميها . برعم تفتق عن امرأة من نغم ، ينسرب فيملاً أجواز الفضاء، ويدخلنا فيتوزع بين الشرايين والأوردة نوراً وضياءً .

قفا حيث أنتما ، أو تعاليا محاذرين ، تعاليا برفق ، فياله من عير ذلك الذى يتضوع فينفى رائحة البحر ويلفنا . ألا يدهشكما ذلك النخيل الباسق من خلفها ، وبالأمس لم يكن له من أثر ؟ .. وهاتيك النوارس الهاجعة فوق الماء ، ألا تثيركما ؟ .. لكانها بساط مُرَقَّش فُرَش على عجل . جميعها يشرب ويرنو إليها . والماء من تحتها بلاطات من الأخضر والأزرق والرصاصى . من أين جاءت أسراب تلك النوارس ، ولم يكن بين الماء والسماء سوى غراب بحر وحيد ، يحوم أسفل شمس تبرقت بالغيم ، وارتكنت إلى سحابة حُبلى بالرمادى ؟

اخفضا بصريكما إلى قدميها . أين سراطين البحر ، وعفونة القواقع والمحارات الميثة ؟ .. زيوت البواخر والزبد المُعكَّر ونفايات الهلكى اختفت . الرمل أبيض من حولكما، أما تلاحظان ؟ .. نائم ومستريح ، فلا خريشات من جنادب ولا أخاديد من حلازين ، دققا ، لا أثر لأقدامكما . لا

أثر لقدميها. أين تموجات وتعاريج رياح الأمس العصفية ؟ كم هو بهيج
ائتلاق السترات المذهبة بالضياء من حولها . لن تحصيها إن أردتما ،
فتابعهما إذ تضوى بالنور لتحيطها بتلك الهالة من اللآلء الحانى .

البراح الواسع مُقعم بالسلسال المنساب من فيها، وضجيج الأسفلت
كفّ وتلاشى ، فأصيحنا السمع . هذه أسلاك التليفون انقلبت عريشاً من
أوراق اللبلاب وأزهار ست الحسن ، فلا تستسلما لرعدة الانتشاء ، والزما
جوارى ، فلعل هذه المراكب المقلوبة تأمن لنا ولا تكشفنا إذ نتمتع بكل
هذا البهاء .

لو ملتما قليلاً وتوجهتماها من هذه الناحية فسيكون ذلك أفضل . من
هنا يمنحكما اللآلء نفسه ويسمح لأعينكما باختراقه ، انظر إلى صفحة
خدها ، إلى تلك العذوبة التى تفيض من لحظتها ، وإلى ألق ذلك الجانب
من جبينها . ياله من وجه يبدو عصياً على الإمساك بملامحه . كم هو مُريح
وبرئ وأسر . نعم هو مُريح وبرئ وأسر . لا .. لا تقولوا " ربما ييكى براءة
ضاعت " . أى إثم تقترفان ؟ .. تحمما بوضاءتها ، واسبحا فى ملكوتها ،
واتركا ما تهجسان به من هرطقات . لعلها ما أقدمت على شق أرض
بفأس ، أو ضرب دابة بسوط . ويلكما ، اخرجما مما حصرتما نفسيكما فيه
. ما أظنها يوماً أزهقت روح آفة ، أو قلرت على قصم سنبلة ، فما أعمق
اللجة التى أو قعتمانى فيها . لكنى متشل نفسى منها . أنا متشل نفسى منها ،
فالخفى فيها جلى والجلى فيها خفى .

أرايتما تلك الحنية الباهرة عند ملتقى ذلك الجانب من شفتيها ؟ .. أى
سحر هذا الذى سكب فيها .. أى أكسير ، وأية قوة جاذبة . لا تقتربا منها .

لا تكلمها. تواريا ولا ترياها نفسيكما ، فالأفق رحيب ، والسماء مقبية ،
وهى فى المنتصف ، أيكة تستجيب لاهتزازات النغم والأثير . وهاهو ذا
الصوت الرخيم ترسله فيتصاعد إلى الشمس . يحف بنقاياها ، ويهبط إلى
الماء . يهز رقاب النوارس ، ويسرى فى خلايانا . يدغدغ مراكز الحس فىنا
، فتماسكا وامسكا بى حتى لا نضيع سكرأ أو إفاقة ، فما نحن إلا
متلصصون ضعاف أنالتهم الصدقة نعمة التمتع بما لم يدر بخلد أى منهم .
دعا كل شئ على سجيته واحفظا اللحظة بداخليكما إنها كنزنا الذى
حصلنا عليه . امسكناى برفق ولا تخدشا طرفاً من هذا البهاء ، فلن نسامح
أنفسنا إن عكرنا عليها صفوها .

لو تركتمانى سأنطلق إليها . تلاطم لواعج الوجد يأخذ بناصيتى إليها .
أحرصا على " وإلا انثلتُ منكما انثيالاً . ستجذبنى لأقعى تحت قدميها .
عندى من الطيش ما يكفى لأن أجثو تحت نعليها . لن أنطق إلا بما تهوى .
لن أفعل إلا ما ترضى . إن شئت سأستبيع لنفسى متعة التخبط فى مفازات
الالتباس المؤدية إليها ، لن أتركها أبداً . لن أهلك ما تبيحه لى من أسرارها
، تلك القروية التى تغنى ، فخففا قبضا تكما على " .

أترى انبجاس الماء ؟ .. أى شئ يمر فى بطنك أبهذا البحر الواسع
بلا نهاية ، العميق بلا غور ؟ .. كأن بلاطاتك جيلاتين يترجرج . سألتكما
بما تمتعما به منها إلا تركتمانى . أما ترى ؟ .. دع يا هذا قميصى . وأنت
لا تخصرنى . ثمة سعيقات خضراء تنتفض ، تشق جيلاتين البحر وتنتفض .
طلعُ يظهر ، وجذوع تبين ، غنى أيتها القروية غنى . ابدلى نفسك فى الغناء .
هاأنذا آتيك وأتوق للتلاشى فىك . استغشيا ثيابكما واتركانى أيها الفتيان .

اعطفا علىّ وخلياني ، فكم أنا مشوق للغناء على أعتاب هذا الكائن
المستحيل .

انظرا .. إن النوارس لتعجب فتدير رقابها صوب المعجزة إذ تتخلق ،
هاهى ذى الجذوع تعلو والسعيفات تكبر وتنتفش . ياله من نخيل سامق .
لو حكيتنا من سيصدق ؟ .. نخيل فى البر ونخيل فى الماء ، والنوارس فى
هيجتها لا تفعل أكثر من أن ترنو ، والصوت الرخيم ما يزال يتمدد ويملاً
الفضاء . وهى كما هى ، فى هالة من لآلاتها تقف .

ويحنا .. دون أن ندرى غيرت فى وقفاتها . ثمة ساق تقدمت ، وجذعها
للأمام مال ، هاهى تنزع كفيها من تحت إبطيها ، وتدفع بذراعيها للخلف .
يالهى .. أى التياث ذلك الذى يغشى منافذى ؟ .. ليسا بذراعين . إنهما
جناحان . جناحان مريشان . ها .. إنها تستحيل إلى يمامة . زهورها انقلبت
زركشات حمراء وخضراء . بهالتها تخترق مويجات النغم وتنطلق فى
أجواز الفضاء أبعدا عنى لا تمسكاني . الشمس نزعت نقابها وتركت
متكأها . السحابة تقلقلت بحملها . ما فائدتى وأنا أحمحم بين أذرعكما
بظمأى ؟ ... انظرا ، النوارس جفلت لتوها وبدأت فى الصباح .. وهاهى
بجناحها تميد بين سعف البر وسعف البحر وتطير .

امتلاء

انفجر الزبد عن ضباب اندفق على قشور البكلويز وأم الخلول وأظافر
الجنينة . توقفتُ عن متابعة زحف الخنافس والحلازين فرأيته أبيض ثخيناً .
يندلق باتجاه الرمل الناشف ، ويتلع المراكب والفلين ، وخن أم عبده الذي
اتخذته مستقراً صباحياً لها، تنادى منه ابنها الذي خرج إلى البحر ولم يعد .
انتفضتُ فانتعش وفار وانهمر على أخرام السراطين ، وطال أبراج
الغطاسين وخفر السواحل . خفت فتكوم واندفع وحشياً صاحباً وامتنط
وبزغتُ منه أذرع امتدت في كل اتجاه تلف وتخمش كل ما نطاله .

انتعلتُ شيشبى ولملمتُ فستانى وجريتُ فجرى خلفى . هائجاً متورماً
رأيته خلفى . يلاحقنى . لكأنه يقصدنى أنا . لكأنه ما انطلق إلا من أجلى
أنا . لذتُ بأراجيح الصغار ونخيالات المحبين فاكسحها . بالشماسى
والكبائن وأكشاك المصطافين فأخفاها . بيلورة الفنار فأغطسها . حتى
مساحات النجيل التى طالما جلستُ وغنيتُ وغفوتُ فوقها دهسها
وغطاها .

وثبتُ إلى الكورنيش ومنيتُ نفسى بأمان البيوت الناعسة ، لكن يده
لحقتنى . التفتُ حول زندي وانزلقت حتى كوعى ثم أمسكتُ بذراعى كلها
. بيضاء ثخينة ، ارتعدت وشعرتُ بها إذ تتلجج . سمعتُ له زحيراً ودمدمة ،
فيما أخذت الدماء تفور فى عروقى وتهدر . درتُ حول نفسى وتملصتُ

وانتزعت ذراعى قبل أن تنخلع . قبض على الأخرى ، ومنها انسرب
فاحتوى صدرى وهصر ثدى وجذبني إليه . عضضته وجريتُ فأمسكنى من
خصرى ، رقتُ بطنى وانزلقت من قبضته وصرخت مستنجدة بظل
خايلنى ، فلطم فمى وشد شعرى وجرنى إليه ، توائبتُ متحملة الألم
وفقدان شبشبى ، وجريتُ فأمسكنى من ساقى وسحبني . كبوتُ ونهضتُ
وحجلتُ ومددتُ كفىً باتجاه الظل البعيد ، لكنه شدنى وانقذف فوقى
وضمنى الضمة التى أرجفتنى .

كثيفٌ ، ثخينٌ ، وأبيض . لدهشتى انقلبتُ دمدته وجيباً ، وهذا زحيره ،
فزائلنى رعبى . مس خدى وجبهتى ، وشعرت بنفثاته فوق شفتى ،
وبفورانه إذ يتخلل شعرى ، فزائلنى قدرٌ هائلٌ من الاطمئنان وتركته يفعل ما
يشاء ، فقبلنى وقلبنى ودفننى فى صدره واحتوانى . حملنى وهرول بى ، ثم
أوقفنى ودار بى يراقصنى فوق ماء يترجرج . لكأنه ثبج الموج ، لكأنه
العقيق الأخضر ، انتشيتُ وتفتحتُ له ، وانزلقت من فستانى ، وقلت :
"هتتُ لك" ، فلبنى وراح ينسرب إلى من ثقبوى ومن مسامى . يجوس فى
داخلى ويجول . شممتُ رائحته إذ تختلط بدمى ، وسمعتُ خرير الماء من
تحتى فار تميتُ فوقه مفتوحة العينين ، مأخوذة بمشاعر الخدر والإمتلاء .

العابرون

اترك الماء واخرج .. تعال .. إجر .. لن تصادفها أبداً في مثل هذه الحالة . هاهي تجلس كالعادة تحت الشمسية عجوزاً كما هي ، مفضنة كما هي ، شوهاء وعرجاء وبكماء .. لكنها ترسم هذه المرة .. ترسم صوراً جميلة للبحر وللنوارس ولأجساد الفتية والفتيات . للفتية سيقان وأذرع ، وللفتيات وجوه تنطق بالبهاء، والنوارس مرحة ، والبحر أزرق ، ناعم .

انتبه.. إنها تغادر مقعدها وتحجل باتجاه العابرين . وجهها يطفح بالبشر، وعيناها ينبوعا فرح وسرور . انظر . إنها تبسم لهم وتشير باتجاه لوحاتها . تتقاذز أمامهم وتكاد تمسك بأذرعهم .. لكنهم كالعادة يجفلون منها ويتعدون .

وجه من ضوء وغيمة من بنفسج

شعرها الفاحم يلف وجهها . عبثاً أحاول تبين ملامح هذا الوجه . عبثاً
أحاول رؤية عينيها .. خديها ... شفثيها .. أى شئ قد يزيدنى معرفة بها ،
فنورها يُغشى .. آه أيها النور .. آه أيتها الوضاءة .. كيف يمكن لمثلئ أن
يسبر غورك ويتماهى فيك ؟

أرفع كفى فوق عيني لأحد من بصرى فيتغشاني بهاؤها . لكانها
تخلقت من نور . لكانها الجلال مجسداً . من ورائها تتقاطع الأخيلة
وتتناحر . تفور وتهمد . تنبطح وتتقاذز . وضوؤها فوق الكل طاغ .

تأبى وتأخذ صدارة المشهد . لولا الشعر الفاحم والرداء المنساب لما
تحددت . لكنها هى .. نعم هى .. هى التى أهفو إليها وأتوق للتوحد بها ..
معها .. وفيها .

لو خفَّ الضوء للحظة . لو شفَّ رداؤها قليلاً . لو بانَّت ملامحها .. لو
زالت الصراعات من خلفها .

لكأنى أسمع صوتاً هو زمجرة أو زئير .. عواء أو نعيق بل هو نباح ..
نعم نباح .. وتلك غيمة .. نعم غيمة .. غيمة لها لون البنفسج وشكل
البرتقال . فى الأسفل منها رأس كلب . رأس مرفوعة للأعلى ، وعينان
جاحتان .

تتواكب الأخيلة باتجاه برتقالة الوهج . تهشها . تبعدها . لا .. بل تحاول .. تتقافز وتحاول .. فتميد الغيمة . تروغ وتعلو وتظل في السميت . في السميت تقريراً . تفيض بالبهاء والبنفسج . وفي الأمام هي هي كما هي . تثبت الضوء وتبهر عيني .

لا أملك غير النظر إليها . تشمخ بأنف لا أراه لكنني أحس به . من هزة رأسها وميلة شعرها تبين حركة الوجه النوراني . حركة للأعلى .. فتميع برتقالة البنفسج .. تتماوج .. تمتط وتنبسط .. تبدل وتتحول وكأنها الآن سحابة مثقلة بالبنفسج .

هاهي الأخيلة تتطلع إليها . قاماتها تطول .. " هس .. هس " . تكاد تصم أذني " . مسلكها يشي بالخوف . يصرخ به . والكلب جالس على قائميه الخلفيين ، يمد عنقه وينبح . عيناه على جحوظهما ما تزالان . وهي هي بنورها الغاشي وقوامها الفتان تصدر المشهد .

يميل الوجه البهي صوب البنفسج فيسيل ويهمي حبات ثقيلة تصبغ زحام الأخيلة وترديها فتسقط ولا تنهض . تذوب وتترقق ماء أزرق تحت قدميها . يمتد ويتماهي في ماء البحر ، فأشمر عن ساقى وأخوض فيه سعيداً لأنه يجمعني وإياها ، فما زلتُ لا أقدر على لمسها أو الاقتراب منها ، والكلب الذي اختفى ما يزال ينبح .

الجورب كحلى والخطى والثقة

الجورب شفاف . كحلى مطرز . يصعد لأعلى ، إلى حيث يلتف
دائلا الجوبة بالفخدين ، فوق الركبتين بشبر أو يزيد . الجوبة زرقاء ،
بسيطة . تضيق عند الردين وتعلو حتى الخصر المكشوف . مكشوف فيما
يشبه الحزام .. تتوسطه السرة وتعلوه البلوزة القصيرة المشمورة عند
النهدين المشدودين بسوتيان يشد ولا يبين له أثر .

تمشى الفتاة بزرقتها وسط الراقدين والجالسين والماشين تميس بين
المقاعد والشماسى وأحبال الخيام . بشقة تمشى . تنحز بكعبيها الرمال
وتدهس القواقع . إلى أين تمضى ؟ غير معروف بالضبط ، لكنها واثقة
الخطو تمشى . متبخثرة تتأود وتميد . رأسها عال وعيناها إلى اللاشى
تنظران .

تعلم أن فريقاً متزايداً من الفتيان يمشى وراءها . تقاطرهم يمتد طويلاً
ولهاثهم تسمعه . كلما خطت خطوة وثب نائم وانقلد جالس واستبار
ماش . لفظ الآن يتلاطم خلفها ، وأصوات تأوهات تأنيها . يتدافعون الآن
بالمناكب . هى تعلم وتمشى بحذاء البحر . أطراف الموج تلحس آثارها ،
والعراة وسط الماء يتوقفون . يتركون نسائهم ويتقدمون وهى لاهية عنهم
باللاشى الممتد فى الفراغ بين السما وضجيج الرمل والماء .

لا يمكن أن تمشى إلى ما لانهاية . اللسان الصخري يبين . انتهى الشاطئ

فلتستدر عائدة . لكن عيون الفتیان فأجأتها فارتبكت . سقطت عيناها إلى الرمل . كأن ما من بنت سواها . كأن الشاطئ قد خلا إلا منها . لماذا ينظرون هكذا ؟ .. اضطربت خطواتها فجرت . خَزَّتْ المشمعات المفروشة ووطأت أجساد المسترخين من العجائز . اسقطت مقاعد وشماسي وظلت تجرى ، وما من أحد كان يجرى وراءها . ما من أحد على الإطلاق يرتاد الشاطئ .

غواية الأزرق الفسيح

أقبلا على . أسنانهما تلمع إذ يضحكان. من أعينهما تطل الرغبة في العبث . عرفتهما .. قلتُ : " أنت حمدي وأنت طارق " . تبادلوا النظر وقهقهها . سألتُ : " كيف عرفتما أنني هنا؟ " لم يردا. فقط التفت كل منهما إلى الآخر ثم مدَّ ذراعاً .. قلتُ : " ماذا تنويان؟ " ، فجذباني إلي الماء كل واحد من جهة . " فستانى سيبتل " . " ليبتل " .

الزبد ليس نظيفاً . ملغوم بالزيت والرمل وقطع الأخشاب والبلاستيك ، وبقايا الأطعمة . هشيم القواقع يخز قدمي . رفعاني وتجاوزا بي شريط النفائات والعكارة .. الماء الآن أزرق . تنبهُتُ إلى انحدارات القاع من تحتي . هما أيضا تنبها . تركاني فأخذت أدف بلراعى وساقى ، وهما أيضا . أحسستُ بفستانى ينتفخ . قلتُ : " نفسى قصير فأرجعانى " . أشار حمدي باتجاه الأفق : " الجزيرة " . وقال طارق : " كوني معنا " وغاصا ، فيما ظلمت طافية .

انقلبت على ظهري وتأملتُ فستانى المقرب والسمااء الزرقاء والنوارس التي تهيم فى الفراغ زاعقة . تذكرت الذين تركتهم على الشاطئ هناك وهممتُ بالرجوع ، إلا أنهما انبثقا من الماء وأدارانى صوب الجزيرة وسحباني إليها . قلتُ : " لا .. أرجعانى " . قال حمدي : " يمكنك أن تقضى الآن ؟ . وقفتُ فإذا بالماء لا يكاد يصل إلى ركبتي . قال طارق : " هذه هى الجزيرة .. أول جزيرة " . نظرت أسفل منى فإذا بالماء كصفحة الزجاج .

رائق شفاف ، ورأيت الأسماك الصغيرة تسبح بين سيقاننا والقواقع
اللابدة بالرمل تُخرج ألسنتها وتلتقط أشياء لا أرها . هتفت : " انظر يا
حمدي .. انظر يا طارق " . قالوا : " نعم " .. " نعم " انثيتُ واغترفتُ بعض
الماء فخرجتُ لى سمكة صغيرة شفافة أكاد أرى فقاراتها وأمعاءها . قلتُ :
انظر " . لكنها انسربت مع الماء المتساقط وزاغتُ فى الأزرق الرقراق .

قال حمدي : " تعالى إلى الجزيرة الثانية " . قلتُ : " لا .. لا أستطيع " قال
طارق : " نحن نستطيع " . قلتُ : " أبقيانى أو أرجعانى " . قال حمدي :
هناك الماء أقل " . وقال طارق : " عندما يعمق السماء ما عليك إلا الطفو
ونحن نسحبك " . نظرت للنوراس التى تظللنا وإلى الشاطئ الذى اختفت
مظلاته وخيامه فخفتُ . قلتُ : " أهلى يبحثون عنى الآن " . لكنهما سحبانى
إلى الماء العميق وجدفا .

قالا : " ما رأيك ؟ " . وقفتُ ، فإذا بالماء يغطى بالكاد منتصف ساقى ،
ورأيت المغموس فيه منهما يتعرج . كذلك المغموس من ساقى كل من
حمدي وطارق . وقلتُ : " الماء هنا أصفى ما يكون " . قالوا :
" نعم " .. " نعم " . قلتُ : " لو لمياه الشط مثل هذا الصفاء .. " .

قال حمدي : " فى الجزيرة الثالثة الماء أصفى " . وقال طارق : " فى
الجزيرة الثالثة الماء أقل " .. قلتُ : " لكن المسافة إلى هناك لا شك عميقة " .
قال حمدي " أعمق ما تكون " . وأكمل طارق : " وأطول ما تكون " . قلتُ
: " سأتمدد ، وإن أردنا سحبنى إلى هناك فاسحبانى " . وتقدمتهما إلى حافة
الماء العميق قبل أن أسلم نفسي لهما .

ما غمستُ فيه قدمي ، فى الجزيرة الثالثة ، لم يكن ماء ، بل ورقة
سوليفان شفافة لالون لها . ورقة اخترقتها قدماي بالكاد ثم التأمت بحنو
حول كاحلى . الرمل أبيض تحت قدمي ، ناعم بلا ثنيات ، لا يتحرك . من
فورى رفعت رأسى إليهما وقلتُ : " خذاني إلى الجزيرة الرابعة " .

تسمرا . لحظة ثم تبادلا النظر . بعدها واجهاني . قال حمدى : " لا
توجد جزيرة رابعة " . وقال طارق : " من هنا لا يوجد سوى الأقراش
ووحش البحر " . ضربتُ ثوبى واتجهت صوب الأفق . صرخ حمدى :
" ارجعى " . وصاح طارق : " أفيقى " . لكننى نظرتُ إلى الأزرق الفسيح .
ووقفتُ عند حافة الماء العميق وقلتُ لهما : " اتبعانى " .

فـنـار

شق ضوء الفئـار عتمة السماء والماء فبانـت من بطن الليل أشياء ثم
عادت فالتأمت . قالت: " نعم أحبيته " . زعقت نوارس ورفرفت أجنحة
غير مرئية . " لازمـني كظلي ، فأحبيته " . نهشمت أضواء المصابيح وسالت
فوق الماء خليطاً مهوش الألوان . " لكنه سافر " . شقت سمكة مزيج
الألوان فامتد وترجرج وأحاط بالقوارب الراسية . " قال يجب أن نسافر ،
وقلت يجب أن نبقى ، فتركني وركب الماء " .

حام عصفور ونقر الضوء المترجرج ، فيما خلعت خاتماً ووضعتـه على
الترابيزة : " هذا خاتمة " ، وفتحت حقيبتها : " وهذه خطاباته " ، ودست
يدها : " وهذا دفتر تذكاراتي " . طوحت بها جميعاً فتناثر الماء والضوء
وطار العصفور .

نهضت وواجهت جليـسها : " قل له .. قل له ما رأيت " . ومضت ، فيما
عاد ضوء الفئـار يشق عتمة السماء والماء ، وبانت من بطن الليل أشياء ثم
عادت فالتأمت .

زنبقة

هسيس البحر هناك فى البعيد . وفى البعيد أيضاً مدينه الأسفلت .
استلقت تحت شجرة الكافور غير مبالية بندارة النجيل أو بالقشعريرة التى
هزت جسدها وأرعشته . توسدت ساعديها وتمددت فى استرخاء .
مستسلمة لما ترجوه أن يأتى ، راحت تتابع حزم الضوء المنسكبة من بين
طيات السحب . أغلقت عينيها وتممت : " هل يمكن أن يجرى؟ "

فتحتهما فإذا بالوجه الذى يفيض بهاء يكاد يلاصق وجهها . اتكأت
على مرفقيها وتأملته . فى خلاياها انتشاء وباطرافها خدر . دس فى مفرق
شعرها زنبقته البيضاء . زنبقة هى ومضة من ألق . فى المكان الذى تعودته
تماماً دسها ، فتغشتها السكينة وغمرها الضوء . تملت من صفاء عينيها
النجلارين إذ تهيمان بوجهها وتفتحت له . لكنه نهض واعتلى حزمة ضوء
وتحرك صاعداً إلى أن أخفته السحب . ومن بعيد جاءتها جلبة المدينة
عالية مدوية ، فيما انطفأ ألق الزنبقة ، فتمنت لو اختصر البحر المسافة
وجاءها الآن .. الآن .. فى التو واللحظة .

عطور تتأوه تحت سدادات القوارير

- ١- الرجل فى غرفة الانتظار ٦- تعاسة
- ٢- غيمة ملونة ٧- ماكياج
- ٣- فم ملوى ٨- كآبة
- ٤- شرفتان ٩- غضوب
- ٥- قرطم

الرجل فى غرفة الانتظار

رأت تعاستها مجسدة فى بشاعة وجهها إذ ينقبض ويتمدد ويتلوى . كل ما بها طبعته المرأة أمامها . المغارات والكهوف والسراديب التى تصفر فيها الريح ، أنفها ذو الندبة وزرقة العروق النافرة عند الصدغين . المسام التى انتزعت منها الشعيرات لنوها ، وانثناء زاويتي الشفتين التحيلتين كخيطين نفشهما الليل .

ككل مرة فرشت أمها الفستان فوق السرير . كعادتها سوته ولم تنس التنهيدة . قالت : " بسرعة " ، ثم خرجت وتركها لوحدها ، فبكت .

بين قوارير العطر وعلب البودرة اختلط نثار الدموع بالمخاط الذى همى فانتبهت . خلعت جليابها ولم تقدر على مواجهة تعرجات عظام صدرها . مرتعشة وضعت السوتيان الذى يوحى بامتلاء لا وجود له . بعدها عبات نفسها فى الفستان أو دلقته فوق جسمها ، لا يهم ما فعلته المهم أنها تدارت فيه .

بالمنديل مسحت ما سَحَّ على خديها . تمخطت فيه ودعكت به أرنبه أنفها ثم رمته فوق بلور التسريحة . متكاسلة فتحت علبة بودرة وأمسكت بقلم روج . مررت الماسكرا فوق رموشها ، وبالبدارة تمهلت فوق محجرى عينيها . علقت لآلئها المزيفة فى أذنيها وثبتت البروش ذا الريشة فوق صدرها ، ولم تنس الإيشارب القصير . التقطته وأخفت به الجزء كثير

الحنيات فى عنقها . تذكرت " كان يجب أن أنزع الدبايس وأفك دوائر
الرولوه قبل الإيشارب ، لكن لا بأس " ، فكت شعرها وهيبتها ثم
استعرضت المخلوقة المطبوعة أمامها من قمته إلى أسفلها . " لا بأس من
بعض الرميل هنا .. والآى شادو لازم هنا " . هى الآن أكثر حماسا . لمعة
الأنف أطفأتها ، ونقط العرق التى انبثقت فوق شفثيها جففتها . التقطت
قارورة عطر ورشت منها على شعرها ، وخلف أذنيها ، ورقبتها ، وكل
موضع يمكن أن ترشه . تشمت نفسها " لا بأس " ، غير أنها حارت . ماذا
تفعل بثنيات كم الفستان عند الإيطين . ستكشف هذه الثنيات هزالها .
شدت الكولة إلى الخلف وحشت السوتيان بعدد من المناديل الورقية .
ابتسمت لما رآته . نعم ابتسمت . بدأ الأمر بارتعاشة فى الشفتين
ونظرة اعجاب بما فعلت ، فلم يعد سوى الجورب والحذاء وتستعد للقاء
الرجل الذى ينتظر فى غرفة الصالون .

غيمة ملونة

(١)

هى الآن فى الطابق الحادى والعشرين . كلما نظرت للأسفل داهمها الدوار . أغلقت النافذة وألصقت خدّها بالزجاج . بارد . ثلجى . أمامها السماء . بطن سوداء تخزها العمائر المقابلة . وفى البعيد .. هناك .. تحت .. بيوت الحى الذى جاءت منه .. وطيفة ... متلاحمة . ذبالاتها تكشف كثرة المسهدين فيها . غيمة رقيقة هشة انتشرت قرب عينيها . هى انفاسها وقد حال الزجاج بينها وبين الانعناق . وكأنها نفثة اسبراي أو زخة عطر . تتلون بألوان النيون خفى المصدر ، أحمر . أصفر . أزرق . حصرتها بكفيها وتابعت الرطوبة إذ تسرى حتى رسغيها . لسعاته خفيفة متواترة ما لبثت أن تلاشت ، أيهما غلب الآخر فسكن ، دفؤها أم رطوبة الزجاج ؟ .. أخرجت أكثر من زفرة فازدادت الغيمة انتشاراً . سحبت كفيها فرأت حدوداً قد ارتسمت ، والغيمة طويلة متمدة .. " هذه الغيمة هى جسدى حينما استقلى له " . " لكأن هذه البطن هى بطنى " . " وهذه القطرة هى سرّنى " . " ها هى ذى علامات أصابعه إذ تجوس وتضغط " . " حمرة النيون هى دمي " . " دمي المحتبس ، دمي الفوار " . لم تحتمل . أحسّت به يخور إذ تملكه الرعشة . رائحة السجائر فى فمه تنفذ إليها . تخنقها . صفرة النيون وزرقته تعكس

حالة الجسد الضبابي. " أى شيطان أعطاك أيتها الزفرات شكل جسدي ؟ ".
أعملت سبابتها يميناً ويساراً وقطعت كل ثنية أحسست بزحيرة فوقها
حملت في الأشلاء إذ ترتعش وتشخب ماء متقطرا وتنهدت .

(٢)

بين مسندى الفتية تقضم أظافرها وتنتظر . المجلة النسائية بعيدة عنها
ومملة ، والمكيف معطل . بينه وبين التلفزيون ترايزة الفيديو . خزانة
شرائطه مزدحمة . بكل ما هو مقزز . فكرت . " تأخر " . لن تفلح الأغنية
في حفظ الأكل دافئاً فوق السفرة . سيأتى بسيجارته وأخباره . بعضها
صحيح وأكثرها ملفق . ينطلق بها لسانه كلما جاء ليوهمها بأنه معنى بمد
خيوط التواصل . عن المكتب يتكلم ، عن المرور وأسعار أربطة العنق
وزحمة الأسانسير . متحركا بين الشماعة والحمام وغرفة السفرة سيخلع ما
عليه ويرتدى بيجامته . سيقول لها أن الأكل بارد . ومع هذا سيزدرده . من
مكانها ستسمع طرقعات الملعقة والشوكة ، صوت تمزق الطعام تحت
أضراسه . ربما يسأل عن قمصاته إن كانت قد كوتها ، وجواربه إن كانت
قد غسلتها ، لكنه سيلتقط حبة الضغط من فوق الكومودينو ويجرع من
الكوب الذى أعدته له ويتجشأ . سيشعل سيجارة ضارباً بكلام الطبيب
عرض الحائط ، ويجلس إلى الكمبيوتر . يضع الدسك ويتخير برنامج
الألعاب معلناً تحديه للجهاز الذى يغلبه دائماً ، بعد حركتين أو ثلاث
سينهض متبرماً ويتخير عدداً من القنوات تعلم يقيناً أنه سيملها سريعاً ،

فيلتقط شريطاً يدسه فى الفيديو ثم يندفس تحت الأغطية ويأخذ فى مراقبة الشاشة ، التى يتماوج فوقها اللحم الملتهب ، واضعاً علبه السجائر والولاة والمنفضة فوق بطنه ، إلى أن يعلو شخيرته ، وهى كما هى جالسة فى مكانها ترقب من وراء الزجاج بطن السماء والعمائر التى تخزها . ويحدث أن ينتهى الشريط فلا تغلق الجهاز ولا ترفع الأشياء الموضوعة فوق بطنه ، لكنها تنهض إلى الزجاج ، وتبحث فى التماعات الدبالات بين السيوت الوطنية عن لمعة كانت تعرفها ، فتعود الغيمة من جديد . ومن جديد تنعكس عليها ألوان النيون خفى المصدر .

فسم ملووى

(١)

ناتى بأشياء عجيبية المرأة التى تدخن . تجلس هادئة . هذا صحيح ، لكنها ترسم بالدخان قلوباً وأمواجاً وحماماً يطير . تبنى فى الفراغ بيوتاً ، ترفع أبراجاً وتزرع شجراً ، تُسِرُّ سحباً كثيفة ، تنفخ فيها فتسقطها زهوراً ومطراً .

(٢)

من مكنى رأيتها ترسم بالخيط التمصاعد من فمها دائرة . دائرة واحدة .. وحيدة .. ثنت الخط فرسمت حاجباً وأنفاً ، بنفشتين ثبتت عينين . استملت الحاجب الناقص والصقت الأذنين . ارعشت خطأ فالتوى الفم ، يا للوجه الأدمى المدور . أصلع حزين ومشحون بمالا أدريه من مشاعر . التواءة الفم هى التى أشاعت كل هذه الحزن . نعم هى التواءة الفم . يالها من هموم تلك المحتواه بين طرفى هذه الالتواءة يالها من انفعالات .

(٣)

الوجه ترجرج وانضغط . ما أسرع ترجرجه وانضغاطه . سرى فى الفراغ وامتنط . السيجارة الآن فى يدها . يدها المرتعشة وأصابعها التى بلون النيكوتين . عيناها على الوجه إذ يتجمع وينفرش . تختلج شفتاها ويموج صدغاهما . لانضغاطة أسنانها صرير . أى رعدة تلك التى ترعشها هكذا فى جلسته؟ . أى سر وراء اكتمال هذا الوجه ومراقبتها لتشظيه؟

هو الآن شئ غير الشئ . مطموس وممزق إلا الفم ، إلا الهموم التى بين
طرفيه . بشفتيها ، تلك المرأة المستوحدة بنفسها ، تلوك كلاماً . السيجارة
فى المطفأة زوت ، هى الآن تكلم نفسها .. تغمغم ونهمهم .. تُقَلِّبُ علبة
سجائرها بين يديها ، والوجه فوقها مجرد نتف . نتف يوزعها الفراغ
ويحتويها . يمتصها وتذوب فيه .. إلا الفم الملوى .. هذا المحوم الهائم .
ينتقل من جدار إلى جدار . لا يصعد . لا يهبط . ولا تتغير التواءته . تنهدت
ونفست آهة .. آهة صامته .. لا صوت لها .. لكنها أرعشت الفم الدخانى ،
أسالته فى ذرات دقيقة قد تستعصى على الرؤية ، لكنها مبثوثة فى أجواء
الغرفة ، أحس بها وأوقن أنها لن تتبدد .

شسرقتسان

تُمسك بالقلم . ما تشعر به ليس بخفقة صدر . لا .. ولا ارتعاشة
جسد. تكتب فى الورق أمامها "إنه انسياب لكيانى وارتجاف لروحي"،
وهو ما يزال عاكفاً على آله، على قيد خطوتين منها، فى الشرفة الملاصقة ،
يعزف مستجيباً لالهامات وحيه ، فتسرى أنغامه وتنسرب إلى داخلها
وتأسرها، تذيب كل مرارات النهار ، تطهرها وتجلوها فتشع ضياء وسناء .
يتحرك القلم فى يدها ويكتب أشعاراً وأغنيات حلوة . ملتاعة . تطفو
مشاعرها فوق النغم الرائق . يلتقطها سن القلم ، يذيبها حنانا وشغفا .
يمزجها بمداد من دمها، يتوقف النغم ولا تتوقف. تعلم أن الصباح قد
أطل. لكنها إذ تسمع وقع الخطوات المغادرة ، وصرير باب الشرفة إذ
يغلق، وتوقن أنه الآن بداخل غرفته ، تطوى الأوراق على ما بها من أشعار،
وتفتح باب شرفتها ، وخفيفة متوثبة تلقى بما كتبت إلى الشرفة الملاصقة .

قرطم

محاطة بالدانتيل والبغافات تجلس في شرفتها السمطة على الشارع الغارق في هدوئه . دائما تجلس هكذا ، وحيدة إلا من يبغawatها . تمد يدها إلى علة القرطم وتقبض على حفنة منها . تؤرجحها في كفيها وتثبت بعضها منها على أطراف أصابعها تلالاً صغيرة دائمة التزلزل . تعود فتلمها وتلقى رؤوس الرجال بالحبة تلو الحبة . لكن أحداً لا يبالي ، وعيناً واحدة لا ترفع إليها . تحدثها نفسها بأن تشير لأول ناظر بالصعود ، لكنها ترتعش في كل مرة وتلملم الدانتيل حول قدمها ، وتهمك في قزقة القرطم .. وأكله .

تعاسة

ربما لم تبد تعيسة وهى تتفحص وجهها فى المرأة ، فمن غير السهل أن تغزو التعاسة وجهاً مليحاً مدوراً ينضج بالحيوية مثل وجهها . لكنها بالقطع ليست مسرورة . ثمة شئ مخيف قد حدث . شئ مفزع . ستعترف . لن تخادع نفسها . لن تهرب ترواغ الوجه المبهور الذى . يطالعها . . نعم ما تخشاه قد وقع . فى غفلة منها وقع . ترفعت هذا صحيح . كابت هذا واقع . شمخت وضربت كشحاً ، هذا ما حدث . الأكثر أنها تعالت على هاتيك الضعيفات اللاتي يتباهين بذلتهن وانكسارهن . كل هذا فعلته واشتهرت به . لكن هاهى بلا مقدمات نجد نفسها مشغولة بالتفكير فيه . ذلك السمهرى ، عسلى العينين ، الذى تتدلى الفتيات من سلسلة مفاتيحه . " أترأه الحب الذى اسهدنى ؟ " . " أترأه الحب يا ربي ؟ " . " آه يا ويلى .. " . وعادت تتفحص وجهها ، وودت لو بكت .

ماكياج

ماكياجها كثيف ، أبيض . لا . ليس هذا ماكياجاً . بل هو وجه آخر
وجه مثبتٌ بلاصق أو بخيوط من المطاط . لو رفعت الشعر عن فوديتها
وفحصتُ خلف أذنيها فربما أظهرت ما هو خاف .. بالتأكيد هو وجه آخر.
هذه الهشاشة البيضاء المتماسكة كيف تكون مجرد ماكياج للوجه الذي
كنتُ أظن أنى أعرفه ، وعيناها .. هاتان العينان ليستا سوى جُرْحين يرجفان
ويدفان برموش هي وأسنان السهام سواء . الشفتان قرمزيتان . تنطقان
بالشهوة ، والأنف مغمور بالأبيض ، تبين منه نقطتان . مجرد نقطتين ،
سوداوين ، مشوبتين بحمرة دكنا . هاأنذا أشعر بنفسى أهيمن بهذا الوجه
المستعار شغفا . أى غموض هذا الذى يسربل هذا الوجه الذى ابحت فى
قسماته فلا أجد سوى الملاحظة إذ تنفرش ألحافى بغير ما نيران ظاهرة .
ليس ثمة من ظل . حتى حنية الأنف وانثناء الحاجبين المزججين يُطل
منهما ذات الضوء الشفيف الحانى . مع كل هذا الانفساح فثمة شئ غامض .
خفى . أترأه فى رجفة العينين يختفى ، أم فى اهتزازة زاويتي الشفتين
يتأرجح ، أم تراه قد ذوى فى هذا الضوء الذى أصبحتُ لا أدري حقاً ، هل
ينسكب عليه أم ينبثق منه ؟ .. وددتُ لو استجبتُ لنوازعى ونهلتُ من هذا
الضوء من هذا الوجه . من هاتين الشفتين ، لو أمسكت بتلابيب ذلك
الغموض الشقى . لو ... أحسُ به أمامى يضحك ويتشقلب مستهزئاً بى
دون أن يبين ، ترى أى متعة ، أيهذا الشئ الغامض ، يُمكن أن أجنيها لو

ألصقت شفتي فوق الشفتين الخضيبتين ، أى رشف من رضاها سوف
يذوب في ويدوبني ؟ ... آه لو تحممت بهذا الألق . لو تعريت ، وعَرَّضْتُ
أعطافي لفيوضاته . لكنه ليس سوى وجه مستعار غير ذلك الوجه الذي
كنت أظن أنى أعرفه . لا ليس هذا ما كياجا ، فلأعطاها ظهري ، ولأنصرف .

كآبة

خاطت أكفان كثيرين من أحبائها ، فما من مكان فى جسدها إلا أصابته
منهم طعنه أو كدمة. قال أبوها: أنت بنتٌ كئيبة . وقالت أمها : اضحكى
تضحك لك الدنيا ، فنهضت وغادرت مكنها ، وسارت فى ذلك الصباح
الباكر باتجاه المقابر .

غضب

كلما غضبتُ منه تفور وتثور . تحطم الأثاث وتبقر الحشايا . تنهال على الحوائط لكماً وركلاً، وعلى ملابسها تمزيقاً وشقاً ، قد ترطم زجاج النوافذ برأسها فتكسرهما ، وقد تمسك بأمواسه وتقطع أوردتها ، لكنها لا تفكر للحظة أن توصلد الأبواب التي تفصل بينها وبينه ، فهي تعلم أنه في كل مرة سيدخل ويريح رأسها على صدره .

شمعات تنوس فى مسارب السفـر

- | | |
|-------------------|------------------------|
| ١- المحطة الأخيرة | ٤- باتجاه نفق المترو |
| ٢- اتكساء | ٥- مصر الواسعة العريضة |
| ٣- خجل | ٦- سفر |

المحطة الأخيرة

الأتويس المضجر يقطع بنا الفراغ كأبطاً ما يكون. إلى جوارها أجلس، لكنها مشغولة بالأصفر المترامى. الخواء لا حدود له، والهواء يشوينا. متودداً أمسك السام برأسى. نفخ فى عينيّ وأسقط جفونى، ضاقتُ الفواصل بين ذراعينا فتلامسنا. مالت رأسى إلى كتفها فأدارت وجهها ناحيتى. نعم بالتأكيد أدارت وجهها ناحيتى، لكنها ظلت على هدوئها وعادت - كما خمنت - النظر عبر النافذة. فكرتُ فيما لو استحالت الصفرة الشاسعة إلى مروج خضراء وانتعش الهواء وترطب. أحسست برأسى وقد انزلق إلى صدرها. لدن. رطب. ومريح. فى البداية شعرت بألفة أنفاسها إذ تتخلل فروة شعرى، وبذقنها إذ تمس صدغى، وبعطرها إذ يغزو صدرى ويحتوينى. المروج ظهرت والهواء أصبح أكثر انعاشاً، وجهها انحدر ونام فوق جانب من وجهى. أعرفُ نفسى إذ أشخر. هى أيضاً تُشخر. اهتز الأتويس فإذا بنا فى المحطة الأخيرة. ياه.. المحطة الأخيرة.. ونهصنا، كل منا إلى سبيله.

اتكاءة

سألته عن موعد الطائرة ، فقال العاشرة .

مهرولة اجتازت البوابات والحقائب والصفوف . إلى الشرفة وزمر المودعين انقذت . لكن المراسم كلها كانت قد انتهت ، ومناديل المودعين ارتدت لتوها من الهواء إلى العيون . سألت من تعرفهم من أصحابه . قالوا ودعنا وطار فتركتهم واتكأت على سور الشرفة . لانشاء السيرة في جذعها ليست مجرد انشاء . نعم قبضت بكفيها على عارضة السور الحديدي ، واسلمت وجهها لالتماعات الشمس على الجسم الهادر إذ ينساب لأعلى ، ولا نطوءات العجلات تحت البطن البيضاء ، ولحروف الكتابة إذ تصغر وتلاشى . نعم فعلت كل هذا في وقتها ، وربما ماثلت أو ماثلها أغلب المتشبهين والمتشبهات بالسور ، وربما زادت أو قلت درجة التركيز أو التظاهر به ، لكن اتكائها مختلفة . نعم مختلفة .. فهي لا تنظر ، بل تتأمل ، وثمة رعدات تعترئها ، رعدات خفيفة متصلة ، لا تهز جذعها ، ولا ترعش فستانها . فقط جلدها . ربما لاحظ البعض ذبذبات الجلد في المنطقة المكشوفة من ذراعيها ، وربما لم يلاحظ . لكن ما هو واضح للجميع تلك العلامات الغامضة التي تطوف فوق وجهها . علامات لا تقدر على إيقافها ويصعب على من يراها تفسيرها . مدَّ أحدهم يده لكنها ظلت على اتكائها ، وظل اتبعاج بطنها ملاصقا لحديد السور ، كان بارداً ، وكان هذا يريحها .

خجل

هاهى ذى تقطع الرصيف جيئة وذهابا . بين الساعة والسيمافور تروح
وتجئ . خطاها متئدة ، ثابتة . عيناها إلى البعيد تذهبان تنتشى إذ تسمع
الصفير وجلبة العجلات . تُصلح من هندامها ، وتلقى بنظرة سريعة إلى
المرأة . تفرش على وجهها ابتسامة عريضة وتزاحم الواقفين . لكنه لا يُطل
من أى نافذة تمر عليها ، ولا ينزل من أى باب . تقف طويلاً ثم تُحنى
رأسها وتفكر فى السبب الذى منعه من الحضور وإذ تخفت أصوات
الآخرين والأخريات ، ويكاد المكان يخلو إلا منها ، تستدير وتبدأ فى
التحرك مضطربة ، متهالكة ، وخجلى من شئ ما .

باتجاه نفق المترو

لمحتها في نهر الطريق . تمشى بين السيارات وعيناها نصف مغمضتين . من بين أكتاف المارة رأيتها . شعاع خفى من ضوء شدنى إلى وجهها ، بالفعل ، عيناها نصف مغمضتين . زاحمت المارقين من حولى لأراها بشكل أفضل . حقيبتها معلقة إلى كتفها ، وذراعاها لا يكادان يتحركان ، والأضواء الصفراء والحمراء تنطبع فوق التاير . نائمة هي أم يقظة ؟ .. هاتان العينان تخفيان ما يجب أن أعرفه . تشيان بنعاس أفلت أو بنعاس قادم ، بغير النعاس لا تشيان . لكنها ليست نائمة . لا يمكن أن تكون نائمة . شعرها ثابت وأطراف التاير لا تخفق . السارينات هدأت والعجلات توقفت ريثما تسرى .. تسرى ، مثلما يسرى المنومون ، بين الأصفر والأحمر ، والإشارة هناك خضراء . خفق قلبى فتركت الرصيف ومرقت بين السيارات وناديتها . لكنها لم تسمعنى . بالتأكيد لم تسمعنى . ليتنى لم انتظر كل هذا الوقت قبل أن أناديه ، رأيتها تصعد إلى الرصيف المقابل . لكنما أضواء الفلورسنت ما انصبَّت إلا عليها وحدها ، فبانت لى بين الزحام المنحدر إلى نفق المترو بؤرة من البهاء المشع ، إلا أن عينيها ما زالتا مغمضتين . وثبتُ إلى الرصيف وتحملتُ بأضواء الفلورسنت غير أنها كانت قد انحدرت مع المنحدرين . سابقت الأجسام المُجَدَّة فى سيرها ، وانزلقت إلى النفق ، لكن الباب كان قد غيَّبها . اجتزته فتشاكلت على المسارب وضاعت منى . ضاعتُ تماماً .

مصر الواسعة العريضة

ولد وبنت. أشرف وسعدية . فى بيتين متجاورين ولدا. فى وقتين مختلفين لكنهما متقاربين . أشرف كفلقة القمر، وسعدية تبارك الخلاق من نعمة أظفارهما وهما معاً . حبوا معاً . لعبا معاً . طاردا البط . قلدا قفزات الضفادع ، وهشا على الغنم . وحينما شبا اكتشفا أنهما عاشقان ولهان كل منهما بالآخر . اتفقا على الزواج إلا أن والديهما ، وقد فرقت بينهما الضغائن ، فصلا بينهما . أقسم كل منهما برأس أبيه ألا تتم هذه الزيجة .

واهاً لك يا أشرف . عيني عليك يا سعدية ، بئس هموم قلبيهما لعزير وحميدة ففاحت رائحة الشواء الذى بداخلهما وتعبأت بها أنوف أهل القرية ، فى غرفتين بيت كل منهما حبساً . لأن البيت بجوار البيت فالجدار لصق الجدار . اكتشفا بعيون المحبين الرحيمة شقا . شق يا أشرف . شق يا سعدية .

عبر الشق تناجيا بأعذب أحاديث الهوى . لكنه شق نحيل ورفيع . لو أوسعاه لكشف أمرهما . ليت شفانا تلتقى يا سعدية . ليستها يا أشرف . وتنهمر قبلاتهما على الجدار . إذا دخل أحدهم على أى منهما خبا الشق بجسمه . كح أو تنحنح ليفهم الآخر فيكف ويحمى نفسه . وما زالا يقبلان الجدار حتى حال لونه وتآكل طلاؤه .

قال لها نهرب يا سعدية ، فقالت نعم .. نهرب يا أشرف. نهرب إلى
الكفر المجاور ونتزوج هناك . قال في الكفر سيأتونا .. أبى وأبوك وكل
ذى نبوت . قالت تذهب للمركز . قال في المركز أيضاً سيأتنا أبى
وأبوك.. فلنذهب لمصر الواسعة العريضة . قالت نعم .. مصر واسعة ..
واسعة وعريضة .

في مصر الواسعة العريضة هما الآن ، ويحدث أن يكونا ملتصقين
فيأتيها من أعلى السلم صوت يصرخ أشرف يا زفت .. سعدية بالثيمة..
فیدلقان جلا بيهما فوق جسميهما ويهرولان لتلبية نداء السلم العالى.

سفر

قريرة العينين غادرتنا .
مكلومة الفؤاد عادت .
مهتاجة النفس ألفت بنفسها إلى النيل .
" طهرنى يا نيل " . " اغسلنى يا نيل " . " طيبنى يا نيل " .
غسل النيل ما علق بها من أدران السفر ، ولم يغسل أهذاب جروحها .
" لماذا يا نيل ؟ "
وتكومت عند البر وراحت تأخذ من طين الأرض وتضع فوق رأسها .
تأخذ من طينها وتضع . تأخذ وتضع . تأخذ وتأخذ .

القوارير إذ تهجس بالامتلاء

١ - دمية

٢ - أمنية

٣ - ارتجافة

٤ - مینان مفتوحان

٥ - تكور

دمية

الوحيدة فى البيت . جاء بها بعد الحاح . بنت لها فم وعينان، شعر ورقبة ، كفان وقدمان ، رأسها جميل وجسمها مشوه، إلا أنه متناسق . لا صدر ، لا خصر ، ولا ردفان . الكفان ملتصقان فى كتلة مربعة ، والقدمان أيضاً . دونما ذراعين أو ساقين جاء بها . مغيظاً مكموداً اشتراها ورماها على صدرها ، ففاجأته وأحبتها .

فوق السرير تضعها ، فى الفراغ بينها وبينه . أعدت لها أرجوجه صغيرة ، وبطانية صغيرة ، ووسادة على قدر رأسها الصغير . لكنه يأتى مغاضباً ويأخذها . يذهب إلى الأنترية ويقذفها إلى زاوية الكنية ، أو يرميها فوق التليفزيون ، وغالباً ما يدفنها داخل نيش السفرة .

هو الآن فى الخارج . لا يأتى إلا ليأكل أو ينام . لا يريد لها على السرير ، لا يريد لها أمامه . تعرف أنه الآن مع أصحابه فى المقهى أو فى الكازينو . تحسست الشعر الأصفر . لفَّتْ خصلة منه حول إصبعها . سوتها . لثمتها ، ولثمت الجبهة الملساء والخدين . انقلبت اللثمات إلى قيلات . قيلات عريضة ، لها صوت . ترق حتى وكأنها شقشقة ، وتغلظ وكأنها قباع . هبطت إلى عنقها ، دغدغته بأنفها وذقنها . ضحكت وقهقهت ، وانزلقت إلى القدمين الحافيتين ، لثمتهما . ستعمل (لكلوكا) تزمه برباط من ستان ليدفئهما . لو كان لك ساقان وذراعان .. لو كان لك صدر وخصر لصنعت

لك أجمل (كلوت) وفصلتُ لك أحسن فستان وغطيت ذراعيك
بالغوايش ، والبستك ساعة تعمل وتقول تك تك ، لو كانت أصابعك
مكتملة ، لغزلتُ لك جوائتي تغيظين به البنات . لو كانت لك ساقان
وذراعان .. فقط ساقان وذراعان لا شتريتُ لك عربة جميلة . فيها مرتبة
ومخدة ولحاف وشخايل ، وعلقت فيها عصفوراً يناديك .. صو .. صو ..
صو صو صو . أنت جميلة ومقطقة . شعرك أصفر وعيناك زرقاوان ، أما
فمك فخاتم سليمان . خاتم أحمر . مرسوم فى حجم النيقة . والحلق
سيأخذ من كل أذن (حنة) . الله يعمر بيتك يا خالتي . خافتُ على
فأخذتك عندها . وخرمتُ أذنك ، فألبستك الحلق وأقمت لك حفلاً ،
رقصتُ فيه خالتي وطبَّلتُ وزغردتُ . بخرتُك ومهنتك وخزأتُ عين
الحسود .

ما هذا الصوت ؟ .. هل عاد ؟ .. تغطى .. تغطى .. دارى وجهك وإلا
أخذك ورماك هناك .. هذا (الجلف) .. إنه مغتاط .. يغار منك .. مع أنه
هو الذى جاء بك . هو الذى شوهك . جاء بك على هيئته . ياه .. إنها
بوسى .. لحستُ اللبن ولم تنم . بوسى أحسن منه . بعده عن البيت غنيمة .
تعالى يا بوسى .. لا عبي النونو .. هوووه .. نامى جنبها .. هوووه .. تنه
هوووه . ومن فتحة القميص أخرجتُ ثديها . مسحته والصقتُ الحلمة
بالفم المرسوم بالأحمر .

امنية

(١)

من خلف الزجاج شخصا يبصريهما تجاه السماء وأسطح البيوت العالية . العرق يغطيها وملاءة السرير تجمعهما .

حركت شفتيها وهمت أن تسأله : هل تحبني ؟ .. لكنه بدا لها سؤالاً بلامعنى فسكتت . صعد زفرة : آه لو تلدين . وضعت يدها على فمه ولامته بعينيها . أزاح اليد وطمأنها : لا تخافى ، أنا متمسك بك . قالت : تعال نذهب للدكاترة . هتف : لا .

(٢)

تعلم أنه داخ بين عياداتهم ، ورأته بعينيها يخفى أوراق عجرة ، وعرفت من الصيدلى سر الأدوية منزوعة الأغلفة التى يخفيها فى أدراجة . لو واجهته بما تعرف فلربما ضربها ، ولربما طعن نفسه ، أو طلقها .

(٣)

قال : حياتنا تكمل بالولد . قالت : نعم . قال : هاتى لي ولدا . استعرضت فى ذهنها كل الفحول المحيطين بها وانتخبت أحدهم . قالت : وإن جاءت بنتاً ؟ ... ابتسم ابتسامة ملوية " خير وبركة " . فعادت تشخص يبصرها تجاه السماء والأسطح العالية ، بينما انقلب هو على أحد جنبيه مفكراً باسترابية : " من أين يا ترى ستأتى له بالبنت ؟ " .. وعض على نواجذه ، ولم يطرف لأيهما جفن .

ارتجافنة

أضياء الأبا جورة فنشاءبت.. فتحت عينيها وتشاءبت تمطت ففاجأها : " ربما جاءنا طفل " . ارتجفت . ارتج السرير لارتجافتها وأز . باتجاهه مالت فانكشف عرى ظهرها وعجيزتها ، جلست مهدلة الثديين مرجوفة عيناها عليه .. على شفثيه اللتين نطقتا ثم انطبقتا على السيجارة المشتعلة لتوها . شعرها المهوش ملبد بالعرق والملاءة سقطت إلى مادون السرة .

تأملت شحوب وجهها في المرأة المواجهة وأحست بانضغاطه العرق تحت إبطها . لفها الدخان الذي ينفثه وخنقها . دخان هو والسم سواء . امتدت أصابعه تعبت بظهرها فانتفضت . شعرت بأمعائها تتقلص . جيوش تدب في عروقها وقدائف تدوى .

لم تكلمه . لم تعقب عليه . فقط لمت ارتجافتها واشتملت بالملاءة ونهضت . إلى السجادة انشت . التقطت ملابسها وهرولت إلى الحمام . كف على فمها والأخرى بما فيها من ملابس تضغط بها على بطنها . من وراء الباب انسرب صوتها إذ تتقيأ . صوت هو مزيج من عواء ومواء . هدر صوت ماء ثم عم صمت ، بعدها كاملة الهندام مكروشة النفس خرجت التقطت حقيبة يدها وانجهت إلى باب الشقة . لم توجه للجالس يدخن نظرة واحدة .. مجرد نظرة واحدة .. وهو أيضاً لم يهتم .

عينان مفتوحتان

هكذا خلقها الله . إن كنت ماضياً في طريقك فلن تراها مطلقاً. لن تراها إلا إذا نظرت إلى الأسفل ، مثلماً تفعل حينما تبحث عن شيء سقط ، أو لتطمئن على أن رباط حذائك لم يُفك. إن ركعت مثلما يحدث في الصلاة فإن الفارق بين رأسها وجذعك المشى سيكون كبيراً ، وإن جثوت على ركبتيك واستقيمت بجزعك فلربما طالت رأسها ، إن كنت أنت على شيء من القصر ، أدنى أضلاع صدرك ، إن أردت أن تأملها فليس أمامك إلا أن تنبطح أرضاً ، ولربما أفادك أن تتكىء على مرفقيك حتى تكون في مواجهتها بالتمام .

وجه سبحان الخلاق . عينان رائقتان ومسحوبتان بما لو تمتعت به واحدة من الطويلات لسبت قلوباً لا حصر لها . أنف دقيق منمنم ، فيه استواء واستدارة يهتفان بقدرة الخالق ، وشفتان ، آه من الشفتين ، نبقتان لهما لون الفروالة ونداوة حب الرُّمَّان . أما الخدان فلا تعرف إن كان من اللبن المخلوط بماء الورد أم هما ورقتان من وردة المخمل .. لا.. لا تصدقنى .. فالمخمل إن قورن بهما كان خشناً ومجرحاً .

أما الصدر ففيه بعض من استدارة البرتقال ، لكنه محشور في قفص يهبط إلى ساقين قد تشينهما بالفعل ، لكنك لن تقدر على تمييز أى شيء فيهما . عبثاً تبحث عن الفخدين والركبتين والسمانتين ، ربما هجست بأن

فستانها ،الذى يضيق على دمية ، يخفى مالم تتبينه ، لكن ثق بأن شيئاً مما هجست به ليس حقيقياً.بالفعل لن تتبين شيئاً من هاتين الساقين.أنا طبيبها. بالأصح الطبيب الذى أتوا بها إليه . وضعوها على المكتب أمامى وقالوا اكشف.أهم ما فى ساقها قدماها . كاملتان ، متناسقتان، وأظافرهما جميلة ، جميلة جداً . حينما أدرتها وهذا ما ستلاحظه إذا ما أدرتها أنت أو أدت بنفسك حولها رأيت الحذبة . مثلثة . هرمٌ متساوق البناء لكنه مقلوب إلى جنبه .

قالوا: اكشف يا دكتور، فكشفت. استسلمتُ تماماً لما أطلب أو أفعل، لحمها أبيض .. لونها رائق وأعضاؤها مكتملة .. حتى الشعر رأته حيث يجب أن يكون ، لم يلفت انتباهى منها سوى عينيها ، على اتساعهما فتحتهما ، وباتساعهما ظلت ترقبني . المسألة وضحت تماماً لى . نظرت خوالى علي أرى من يناظرها فى الحجم فلم أجد ، ولما لم يكن هذا شرطاً فقد قلتُ ببساطة: مبروك .. حامل . عندها .. وعندها فقط تلاطمت عيون من جاءوا بها . نظروا إلى وإليها وإلى بعضهم البعض ، فيما ظلت هى ترقبني بعينيها المفتوحتين على اتساعهما .

تـكـور

بيديها الناحلتين أحاطت تكور بطنها . أغلقت عينيها فتدلت ظلال رموشها سهاماً مهشمة فوق شحوب خديها . لعله القلق ينهش داخلها ، وإلا ما سر هذه الرجفات التي تعترى ذقنها ؟ .. وما سبب هذه التقلصات أسفل عينيها ؟ .. هاهى ذى تفتح عينيها على اتساعهما فيندلق الفرع على وجهها ، ينحرف بفمها فيعوج ويسيل منه اللعاب على بياض القميص المربوط من الظهر .

" آه " .. أفلتت منها ضعيفة مرجوفة . على الحائط انبعج ظلها المشوه واستطال وجهها وتعرج ضغطت الزر وعضت كفيها والحاشية وحديد المسندين انضغطت بطنها فصرخت . بأعلى ما فيها صرخت . انهبد السقف فوقها أو صعد السرير إليه . لا تملك إلا أن تصرخ .. تصرخ ونعص . طار قطن كثيف من الوسادة وابتل فحذاها . سال ماء على ساقها وهبط إلى الملاءة . عوت فدخلت الممرضة ومن خلفها الطبيب .. أخيراً الممرضة .. أخيراً الطبيب . نقلها إلى الترولى . خرجا بها إلى الممر ومنه إلى غرفة العمليات .

بعدما وضعها ساقها كل واحدة منهما على الحامل ، وقبل أن يبدأ المتزاحمون تحت المصباح أعمالهم ، وإذ تُقَلَّبُ عينيها المروعيتين بين قفازاتهن وأقنعتهم ، انشق صدرها عن صرخة ممدودة ومن بين الأكف التي أمسكت بكتفيها تثبتها زارت : " أمى .. هاتوا لى أمى " . وكانت تعلم جيداً أن أمها قد غادرت الدنيا وهى تلدها .

لكل مخلوقات الله أفئدة

- | | |
|-----------|-------------|
| ١- بلبـل | ٥- سرطـنة |
| ٢- قطـة | ٦- لماذا ؟ |
| ٣- عـنزة | ٧- أم عبـده |
| ٤- خنفساء | |

ببببب

نعم هو الببلل يغرد .

أى شجو حزين لفها به هذا المخلوق المنفرد بذاته فوق غصن أو داخل عش لا يرى ؟ .. لكأنه عرف أنها ما جاءت إلى خضرة هذا الفن إلا طلباً للسلوى . هاهى ذى نغماته تتكرر وتبدل مثلما يفعل العازفون اختباراً لآلاتهم .

ناى هذا أم قيثارة أثيرية ؟

لكأنك حطت داخل صرھا أیھا الببلل وسحبت خیطاً من شفاف قلبھا وطرت به مهتزاً موصولاً إلى حیث تقبع فی مكانك المجهول . ترفق بها ولا تدفق نغماتك بهذا القدر من القوة والاندفاع ، فالخيط يتأرجح وهى ترتجف .

كأنك أیھا العابث قد استغنيت عما تلك واستبدلت صفارة رعناء به، أتسخر منها لترجف قلبها، أم هى انفلاتات الريح إذ تعصف بصدرک حیث تقف ولا تبین ؟ .

أیھا الصادح المفر .. لا تستعرض مهاراتك فما هى إلا مخلوق واهن ونغماتك الآن هى والهمس سواء . لكأنها اشتعال الأنين فى صدرها المنوجع ، لكأنها تحمل صهد الزفرات الملتاعة ، ولكأنك نحوم حول السهم الذى أصماها عشقاً .

رطب أيها البلبل التهاب همسك بشئ من المرح . كن نبيلاً وافعل ، فهي
على ما تكابده من وقدة الجوى تشعر بالنشوة تسرى فى حناياها . امرح أو
اسكت .

لا .. لا تسكت . لا تقطع الخيط الذى انتزعته وإلا أزدت قلبها إدماءً
وألماً .

كم هى شجيرة هذه النغمات التى تشفق عليها بها . حلوة ودافئة . من
عميق صدرك تأتى . فيها أنات شاكية ربما ، فيها ابتهالات استرحام ربما ،
لكن الأكيد أن فيها من الرنات ما تستريح هى إليه . رنات من ذلة أو خجل .
فاصدح أيها البلبل ، فالعبير يتضوع فى الأرجاء ، والسماء تنحنى فوقك
أيها الخفى وفوقها ، والظلمة آخذة فى الانقشاع ، والنجوم تستحيل إلى
لمعات من ندى . وهامى وقد زالت عنها كربتتها تأخذ فى البكاء .

قطعة

من أين جاءت هذه القطعة ؟ .. كيف دخلت وفرضت نفسها ، هكذا ،
وسط كل هذه العتمة ؟ .. فراؤها الأبيض يشع ، وعيناها الخضراوان
تضيئان .. أى فرجة خفية انفتحت لها وسربتها إلى الحصن الذى أغلقته
على أحزانها ووحدتها ؟ .. أى رائحة جذبتها إلى حيث استكنت وتبلدت ؟
هزت القطعة ذيلها ورنّت باتجاهها . حبلٌ من ضوء رائق يشدها إلى
البلورتين المدورتين فى وجهها . انحنت إليها والتقطتها ، أراحها على
ذراعيها ووسدتها خدها " أيتها الحلوة الناعمة " اتجهت بها إلى المطبخ ،
الأوانى مبعثرة والفوضى تعم كل الأشياء .

أخرجت علبة تونة . فتحتها ووقفت ترقبها . تابعت خفيها الأماميين إذا
يقبضان على العلبة . تقبضان عليها فى حنو ورقة . أحضرت طبقاً وفتحت
الصنبور . لا .. اللبن أفضل . أتت به من الثلاجة سكبه فشربت ولحست
شواربها ثم تمطت .

خرجت إلى الأنترية فتبعتها . أجلستها على الأريكة وراحت تملأ
النظر منها . " كم هى وديعة وجميلة يا ربى " . دفنت أصابعها فى نعومة
الفرو ثم عادت وسوته . لثمت رأسها وتركتها تتعلق بصدرها .. صدرها
الذى عجف .. ومن تلقاء نفسها .. دونما ضغط أو ضجيج .. من غير أن
تتصل بها أمها المتحسرة دوماً ، أو تمديدها إلى خطابات الصديقة

المهاجرة التى تطالبها بترك ما هى فيه .. بهدوء .. وبلا إيعاز من أحد .. نهضت إلى الستائر .. أزاحتها وفتحت النوافذ فانسكب الضوء قوياً نفاذاً ، واندفق النسيم دافئاً رقراقاً .

أمسكت الرشاشة وروت النباتات المائلة فى الأركان . مسحت أوراقها ، ونفضت الأتربة من فوق المناضد ومساند الأرائك والفايزات . صعدت إلى صور الدين غادروها . أزالَت خيوط العنكبوت ونزعت أشرطة الحداد . مسحت المرايا والثريات . ما من شئ إلا مسته . ما من شئ إلا زحزحته ، استعرضت المكان فوجدته نظيفاً مريحاً ومبهجاً .

وفى قلب الفتية استلقت القطة تستحم بالضوء وتلعق فراءها ، ترنو إليها أينما تحركت . وأينما تحركت نظرت إليها . قد تنهد وقد لا تنهد ، لكنها فى كل مرة تبسط ملامحها وتتبسم ابتسامتها لطفل غريب غافل . قبل أن تجلس مسحت المسجل ودست فيه شريطاً فسرى فى هواء الغرفة صوت عبد الحليم . حلو ورخيم ، بمشطها سوت ما نقر من الفراء هدهدتها ورددت ورا عبد الحليم ما يقول . نظرت إلى وجهها فى المرآة فرأت خديها قد توردا . ابتسمت لنفسها هذه المرة واتجهت إلى الحمام . تبعثها القطة فواربت الباب عليها تدخل ، لكنها مطت جسمها ورقدت أمامه ، خرجت إلى غرفة نومها فسبقتها القطة . فتحت الدولاب وارتدت أحلى ملابسها ، تقلدت أفضل عقد لديها وتعطرت . كحلت عينيها ومسحت على شفيتها ببعض الأحمر . استعرضت نفسها أمام عيني القطة ثم حملتها وخرجت بها إلى الشارع ، وما يزال صوت عبد الحليم يتردد داخل المنزل .

عنزة

من الصحراء جاءت . إلى الصحراء تمضي . بطول الأسفلت تسوق
أغنامها . تجوس بها في الحارات والأزقة . معها أختها الصغيرة والكلب .
تعرف أقصر الطرق للخروج من غابة الأسفلت والأسمنت والعيون
الجائعة . في يدها غصن شجرة . غصن جاف كغصنها . لا تضرب به أيا منها .
لا تمس ذبلاً أو ظهراً ، لكن الحركة الواحدة من طرفها تعني أمراً أو إشارة .
تصبح بصوت مدغوم يخرج من تحت برقها فتلوى الأجساد المتبخرة
أعناقها ، تستدير أو تنتشي وتهطع رؤوسها بالاتجاه الذي تريده هي .
المضرب هناك .. وراء خرسانة هذا البندر بمسافة .. بحثت عن العنزة
البيضاء فلم تجدها ، زجرت الكلب ولوحت له بطرف العصا فاستدار
صرخت في أختها ولحقت بالكلب ، إلى الحارات والأزقة انطلقا . هو
يتشمم وهي تبحث في البعر والأوراق مأكولة الأطراف العنزة البيضاء من
أنظف العنزات ، العنزة البيضاء من أملح العنزات . مستكينة وهادئة . أميز
ما فيها عيناها النجلوان . تجالسها وتنام في حضنها . هاهو ذا الأسفلت
يفريها ويختطفها ، لكنها ستتزعها من هذا الأسفلت المصهور وتستعيدها ،
ليست بها حاجة لسؤال المارة ، فكل العلامات تدل على أنهما في
طريقهما إليها . هي انحناءة أو انحناءتان ويعشران عليها . رائحتها تدل
عليها . في العطفة المقبلة ستجدها . هذا أكيد ، هزة خلخال واحدة وتأنيها

العنزة فرحة ومعتذرة . لكنها لم تأت . انشت يتقدمها كلبها ثم توقفت ،
توقف كلبها أيضا ، عثرا عليها . نعم عثرا عليها .. مستكنية كعهدا ، هادئة
.. أمامها مباشرة تقف .. فى الظل الذى يغطى نصف الخرابة المفتوحة على
الأسفلت ، وفوقها جدى من البندر .. يلاقحها .

الخنفساء

الخيمة أمام البحر ، والبحر ساكن . لا موج . لا صيد . لا نوارس . ما بين الخيمة والبحر يجلسان . كرسيان من مشمع وترابيزة من خشب وكتاب مقلوب . الرمل أمامهما أسود رطيب والماء أزرق باهت ، وهناك .. حيث يلتقى خط الماء بخط السماء تتفلطح غبشات رصاصية .

دخلت الخيمة . ارتدت المايوه وخرجت إلى البحر . تأمل تأرجح ردفها وهي تخوض في الماء . ملولاً تابع انشاءات أصابعها إذ تشد أطراف المايوه على بدايات التكور . لما احتوتها الزرقة ، وأصبح شعرها مجرد نقطة . نهض ودخل الخيمة . لملم ما خلعتة وأزاحه جانباً ثم أمسك بالترمس وصب الشاي الجاهز في كوب وعاد إلى كرسيه .
جاءته وقالت : البحر جميل .. تعال أغطس معي .

اعتصم بالكوب فأزاحته . نزعت عنه التي شيرت وفكّت حزام الشورت . مثلها أصبح مجرداً إلا من المايوه . استعرضت مفاتنه ثم سحبتة إلى البحر .

غطست تحت الماء وتمدد هو فوقه .

سبحت من حوله ومن تحته . ناوشته بالماء ودغدغت باطنى قدميه ، فلم يفعل أكثر من الانقلاب على ظهره . جاورته فها لها اتساع السماء وعمقها .

قالت : يا لثيم .. أنت تنظر إلى السماء .

لكنه كان مغمض العينين .

وثبت فوقه وغسّطت به فانتشل نفسه وانبثق مفزوعاً . غبّ الهوا ونثر
الما من فمه ومنخاره . مسرعاً جدّفاً بذراعيه وساقيه باتجاه الشاطئ .
اقتحمت عليه الخيمة فوجدته قد تجرد من لباس البحر .

قالت : دمك ثقيل .

وخلعت هي أيضاً .

رمى إليها البشكير فالتفت به ، ارتدى التي شيرت ودس ساقيه في
الشورت وناولها مشطاً ومرآة .

قالت : جوعانة .

أخرج من الحقيبة المعلقة إلى العامود أطباقاً وساندوتشات وعنقودى
عنب .

قالت : سأكل بالخارج .

أخرج الأطباق طبقاً طبقاً ورصها فوق الترابيزة .

خرجت إليه وقد ارتدت ملابسها ومشطت شعرها ووضعت بعض
الكريمات ، رآته راكعاً على قدميه يتأمل خنفساء تمشى فوق أحد الأحبال
التي تشد الخيمة

قالت : تعال .. كُلْ .

لكنه مد إصبعاً داعب به الخنفساء .

وقفتُ قبالة وتأملت الخنفساء. سوداء ، صغيرة وتمشى ببطء .. ببطء قاتل ،
مدتُ كفها وأطاحتُ بها فارتطمتُ بوجهه ثم سقطتُ على الرمل فسحقتها
وجلبته إلى التراييزة :

- قُمْ كُلْ

قام . لكنه لم يأكل . وإذ تهم هي بقضم أول ساندوتش لمسحت
الخنفساء تنهض من جديد . رأتها تصعد الوند وتتسلق وتمشى عليه باتجاه
الخيمة ، فيما كان هو يُحدِّق في سمرة الرمل الرطيب وزرقة الماء وتفلطح
الغبشات الرصاصية التي ظلت ساكنه ، هناك .. عن التقاء خط الماء بخط
السما .

سرطنة

هنا .. نعم كنا هنا . جالسين على الرمل .. هنا .. أمامنا البحر ... ماء
وزرقة ويود .. وفوقنا الكورنيش .. ضجيج ومارة وسور . عيون الواقفين
إلى السور نخزنا . ما من مكان نلجأ إليه منهم . تدارينا بهذه التلة ، لكن عين
الشرطى خايلتنا . جيوبنا خاوية والوجد يضمننا . هى حلالى وأنا حلالها ،
وما من شئ متاح .

انتقلنا إلى ذلك الكشك المهدم . هناك . فإذا برجل يتغوط وسط
صفوف متراصة من مخلفات سابقه . كدنا نتقياً فتحامينا بمشاعرنا وهرونا
إلى هنا .. تعالى .. إلي هنا .. هنا أقرب إلى البحر . جلسنا وأعطينا ظهرنا
للكورنيش . تساندنا فتحلقنا رهط من اللاهثين ، أمطرونا بأغنياتهم البديئة
وطرقات صنوجهم . لم ينصرفوا إلا بعدما أبعد كل منا كتفه عن الآخر .

نهضنا وتقدمنا نحو الشط ، مركبان . إحداهما مقلوبة ، توجهنا إلى
الأخرى . هنا .. هنا .. كانت هنا . أسفل منها عرق عريض من خشب ،
كتلة ضخمة من شبك ، ونفايات من خيوط منزوعة الفل والرصاص ، منينا
نفسنا بخلوة لا تحاصرها العيون ، يكفى أن ينظر أحدهنا إلى الآخر فيفهم
ما يريد ، ارتكزنا بأكفنا على الحافة وصعدنا ، وإذا نشب إلى قاعها فاجأتنا
الوجوه المصوبة إلينا ، وجوه تسلط علينا عيوننا ذاهلة ، رجل وامرأة وأولاد
صفار ما بين اليقظة والنوم ، تحوطهم أسمال وكيزان وبراد شاي . لكانها
أسرة كاملة . مد الرجل يده بكوز وبش . بش ومط وجهاً ضامراً فانكشفت

أسنان شوهاء متفرقة. قفزاً عدنا إلى السطح ومنه إلى الشط في ظل
المركب المقلوبة .

جلسنا ناحية الرمل الجاف هنا . نتماس قليلاً ثم نتحوط من
الفضوليين فننفضل . نتشاغل بحفر أخاديد فيه فتدرو الريح طبقة ناعمة
منه وترفعها ستيمرتات قليلة . تبدو كما لو أنها غمامة شديدة الانخفاض
تُصيب الرؤية ولا تُخفيها . أسفل منها نلمح خنفسات صغيرة مبقعة
بالأصفر ، وإلى جوارها تطير سرطانات إلى أخرام اكتشفنا أنها تحيط بنا .
ترك نغشبات خفيفة لا تلبث الرمال أن تطمسها .

في وقت واحد نظر كل منا إلى الآخر . تكفى نظرة واحدة ليفهم كل
منا مراد الآخر ، نظرة واحدة ثم انكفأنا على وجهينا ، من فورها أصبحت
أذرعنا قراصات ، وأضيفت إلى أرجلنا أرجل أخرى إلى كل رجلين أربعة
أرجل من كل جانب . تضاءلنا واكتسبنا بعظم له لون الرمل . بعينين
خرزيتين تفحص كل منا الآخر . غنى ، فقد كنتُ فرحاً . بالتاكيد هي
الأخرى تشعر بما أشعر ، فها نحن قد تحولنا إلى سرطانين أملحين .

بسرعة جرينا إلى أحد الأخرام . تمنينا أن يكون خالياً لم يكن مجرد
خرم ، لكنه يفضى إلى ممر ينحدر في الأرض الرطبة ثم يصعد إلى خرم
آخر . المدهش أنه كان بالفعل خالياً . تقاربنا وتلاصقنا وبدأت في مبادلتها
عواطفى ، شعرت بنخسة في ظهري فتوقفت . نظرت ، فرأيت ماء يندلق
وسيحاً يندفع صوبنا . مدعورين انفصلنا وهرونا من خرم الهروب
ورأيناهم . صبية يحملون دلاء ويرفعون أسباحاً تخترق أعداداً كثيرة من
السراطين .

جرينا يملؤنا الرعب ، ولما كانوا قد حالوا بيننا وبين البحر فقد صعدنا إلى الكورنيش من هنا ، هذا المنحدر صعدناه وهم خلفنا يهرولون ويلوحون بأسياخهم . من حديد السور انزلقنا ، هنا .. ومن هنا حاولنا النزول وعبور الأسفلت، فزعقت عجلات العربات ونظرتنا إلى حيث كنا . لدهشتنا استرددنا هيبتنا وعدنا كما كنا .

سألنا الأولاد عن سرطانين أملحين صعدا لتوهما . لم نُجب . كنا فزعين ، فجالوا بأعينهم يبحثون عن أى أثر يدل على موتنا فعصاً ، بعدها وقفوا على رأس بالوعة المطر. قالوا ربما نزلا إلى هذه البالوعة ، ثم انصرفوا وتركونا متسمرين فوقها . تبادلنا النظر وبدون أن نتكلم فهم كل منا ما يدور فى رأس الآخر .

لهذا

شريط طويل من القواقع والأصداف يفصل بين الرمال وموج البحر .
شريط متعرج كالزجاج ، يتراكم في ثلاث تعلو فتحجب ما وراءها ،
وتنسط فتكشف ما أمامها ، قواقع حية لها زوائد تخرجها وتديرها ثم
تسحبها فتقلقل بما في داخلها . مدورة ومفلطحة تتدحرج باتجاه الرمال
السوداء المذهبة بنترات جد دقيقة تلتمع بضوء الشمس ، ولا تكاد - إن
أردت - تمسك بها ، تتلقى المويجات الواهنة فتدفن نفسها ، بعضها أو
كلها ، في الرخاوة الندية ، وأخرى ميتة لتوها مفتوحة المصاريح ، لحومها
حمراء مدممة ، لكانها عيون فُقتت أظلاف طيور جوارح ، جافة هي
اللحوم البنية المقددة في قيعان المحارات الناشفة ، يختلط فيها الأسود
والأصفر وبياض الملح ، ملح البحر إذ يتبخر ماؤه فيُخلّف تلك الحواف
البيضاء الهشة الفواحة بروائح اليود والزفارة ، على طول الشريط الطويل
يتداخل الرهيف المتكسر والسميك الصلب ، المدور والمفلطح وماله
شكل الظفر والقرطاس .. أية موقعة خلقت هذا المشهد المهيب ؟ .. أية
مصادفة تلك التي داخلت وفصلت ورمت البعض منها فوق البعض ؟

ثمة أقدام مشّت فوقها ، آثارها تدل عليها ، هاهي آثار النعال والكعوب ،
يا إلهي .. هذا لسان ينبثق بين نعل وكعب ، قوقعة غرسها الثقل الذي مرَّ
ومضى . هاهي حدبُتها تظهر ، تتأرجح وتعلو ، خوذة تحتها رأس حي . رأس
هو الوحيد المتحرك وسط الركام المدفون تحت ضفطة آدمية واحدة .

لا ، ليست خوذة ، بل هى شئ آخر . شئ جهنمى ينبثق من بين طيات الأرض مقاوماً كل الأنواء ، وساخراً من غرور ذلك الذى ظن أنه قتل ومشى ، لأتراجع ، من الأفضل أن أتراجع . الجهنميون لا يبدوون مُبتلين هكذا ، عديمى الحيلة هكذا . وإن كانت ، فيالها من جهنمية جميلة .. بريئة .. لا حول لها ولا قوة .

ثَلَمَةٌ .. ثَلَمَةٌ فى أحد الجانبين تُفسد جمالها . ليست ثلثة ، بل شرحٌ دارته الشيات التى حورها مد البحر وجزره .. التيارات التحتية .. تلافيف الطحالب ، وحيل التخفى وهواجس الافتراس .. تترنح به وسط الهشيم المحيط . لكأنه هو الذى يحركها ويضنيها ، انحنى فالتقطها ، أضعها فوق راحتي . مهيضة تطلع فى حركتها ، أَعْرَ كفى حتى لا تسقط ، لا يمكن أن تكون جهنمية المنبت ، لا أرضى أن تُصبحى جهنمية الموئل . أيتها الرقيقة المجترحة تماسكى .

لسانها طرى . أبيض شاحب . تلحس به بشرة الكف . ماذا تفعلين ؟ .. أى نحتاجين ؟ .. إن أشفقتُ عليك فماذا عن كل الركام الذى ينتظمه هذا الشريط الطويل ؟

لكأنك تتألمين .. هذا مؤكد . لعلك عطشى أو خائفة . أى شئ يمكنه أن يهدئ من روعك ؟ .. لو ربتُ عليك فإن خوفك سيزداد ، لو قبلتك فلن تفيدك قبلاتى ، وإن خباتك فى جيبى أو حتى فى صدرى فستختنقين . البحر .. كيف فاتتني ؟ .. جريتُ إلى حيث يتكسر الموج ضعيفاً واهناً . وضعتها أمامه . واحدة مثلك أخرجت إلهة عبدها أناس كثيرون ، ودارت بسببها حروب أفت أناسا كثيرين ، فانتفضى وأخرجنى ما تجودين

به . لا أريد آلهة أو لآلىء ، فالعبدة والكنّازون يأخذون بخناق الكون ،
ويتهافتون على جمع مجرّاته ، ينثرونها حول مذابحهم ، أو يضعونها داخل
خزائنها . أريدك كما أنت ، كما كنت ، كما ينبغي أن تكوني ، فجودي
على بمسرة إبقائك حية ، وانتبهي ، فهامى الأمواج الرخية تأتيك حانية
شفوفة ، هامى ذى تنشر نفثات الحياة فى الأرجاء ، فهنيئا لك . اندفسي فى
الرمل وأخرجى لسانك .

لكن الأمواج لطمتها فتدحرجت . علاها الرملُ الأسودُ والنترات ، أى
مهانة يا قوقعتى تالين ؟ .. من الشرخ رأيتُ جانباً من جوفها ، أحمر وردى ،
خسارة أن تموت وتتقدد ، إذن فأنا شغوف بها . هكذا بانت لى الحقيقة .
هكذا حرت . ماذا أفعل ؟ .. ابتعدتُ بها عن رغرات الموج وزبدة
المعكر ، فى التربة المبلولة حفرت حفرة صغيرة . ملهوها عدتُ إلى البحر ،
بكفى الفارغة اغترفت الماء وصبته فيما احتفرت ، قدُرُ بسيط يعينها على
التصرف ، وضعتها فيها وانتظرت فرايتها تتحرك وتغوص . فرحت وقلتُ ها
أنذا قد فعلتُ شيئاً مفيداً .

تأملت حذبها إذ نهبط ، والرمل المؤتلق بالنترات إذ يعلوها وتهدت ،
فتحتُ ذراعى وصدرى للشمس وللريح ، وابتسمتُ للأفق الفسيح ، غير
أن طائراً بحرياً انقضض والتقطها وطار . نظرت إليها بين منقاره وزفرتُ :
لماذا من بين قواقع الشريط الطويل لم يختار إلا هذه القوقعة .. يا ربى ؟

أم عبده

لم يحدث تراشق بالنيران أودك بالمدافع ، ولم تُحلق الطائرات فوق المدينة . لم يحدث شيء من هذا على الإطلاق . كل ما هنالك أن عساكر وحدة المدفعية الصاروخية دخلوا إلى قلب الشارع بعدما كانوا يتمركزون عند طرفه ، قال قائدهم تحركوا فتحركوا . لا ذنب لهم في أي شيء ، بالطبع اهتزت العمارات وحُرت الأسفلت وتهشمت حواف الأرصفة ، وهذه أمور عادية تشهدها المدينة كل يوم تقريباً . غير العادى أنهم لم يجدوا مكاناً يصلح لتمرركزهم الجديد غير المربع الموجود به بيت أم عبده .

آه .. أم عبده التى حماها الله من كيد الأعداء وقلب قنابلهم فى السما وأعادها لتفجر طائراتهم لمّا كادت تهبط فوق بيتها . بيتها هذا الذى تمركزوا حوله . أم عبده التى أكلت " قلب ديب " ونطت فوق اليهودى " أبو براشوت " وقضمت زوره . ما ذنب العساكر المساكين إذا كان القائد لا يعرف كرامات أم عبده ؟ .. لولا سلاطة لسانها لأطلق عليها الرجال الذين لم يهاجروا من المدينة لقب الشيخة . لكن لسانها الطويل حرمها من اللقب وعطاياها .

خرجت إليهم فراوها بصدرها المدفوع للأمام وعجيزتها التى لا مثيل لها . من خروم قرطتها رأوا ثعابين شعرها إذ تطل ، وتحت أنفها رأوا شارباً فاستهولوا ما رأوه ، وأيقنوا أن خطأ تكتيكيا رهيباً أوقعهم فيه جهل القائد .

" كل المواسير والجنازير والكاوتشات دى حوالين بيتى .. !! "

لم تكتف بالبرطمة فأتبعناها بنظرة كتلك التى أحرقت بها الصاروخ القادم من " البر الثانى " . تكوم العساكر واحتفى بعضهم ببعض وهم الأشاوس أولو العزم . الأسلحة فى أيديهم والخوذات وأوراق الشجر وشباك التمويه فوق رؤسهم . هذا كله صحيح ، لكن ماذا عساهم أن يفعلوا مع واحدة مثل أم عبده . أم عبده التى وقفت على الشط ذات مرة وعطست فأغرقت نقطة العدو الحصينة بالماء والرمل ، وما يزال الرواة يحكون كيف أن بولدوزرات الأعادى حاولت انقاذ المدفونين بداخلها دون جدوى .

بعد حركة خطافية اكتشفوا أنها تمسك بالمقشة . ليس هذا فقط، لكنها - ويا للمفاجأة - تقف أمامهم فى وضع الهجوم .

"الهجوم علينا يا أم عبده ؟! .. إحنا رجالتك وعساكرك يا أم عبده".

متردة أرجعت النفخة التى كانت تنوى إطلاقها باتجاههم . ما تسرب منها لم يطير إلا شباك التمويه وأوراق الشجر فقط ، بل أدار بطاريات الصواريخ - على ثقلها - حول محاورها ، لم تمهلهم فرشتهم بزخات من شتائمها . من العساكر من تترس خلف العربات ومنهم من جفل . أما المساكين الذين وقفوا أمامها فقد ضربتهم ، ضربتهم بالفعل ، بعصا المقشة وقشها ، الخوذات رنّت والفولاذ قعقع ، ضربتهم وهى تزعق :

" ابعدا يا ابن القحبة أنت وهو .. حاربوا بعيد عن بيتى " .

بطيئاً بطيئاً فهم العساكر أنها لم تضربهم ونشتمهم بسبب الرصيف الذى نهشم ، ولا بسبب غطاء البالوعة الذى هرسته الجنازير، ولا حتى

باب البيت الذى انبعج ، لكنها تريدكم فقط أن يبتعدوا عن تلك المساحة
الفاصلة بين مجنزرتين تواجهان المكان الذى خرجت منه .

لما فهموا ابتعدوا ، وبألها من مفاجاة ، ليتهم منذ البداية فهموا
وابتعدوا، ذلك أنها رَمَتُ المقشة من نفسها رمتُ المقشة، ليس هذا فقط،
لكنها أنت بما لا يمكن تصديقه ، رَمَتُ صدرها إلى الإمام أكثر وبركتُ
على الأرض ، على الأسفلت وضعتُ كفيها وركبتها فتدلى ثدياها
وارتفعت عجيزتها ، " بتعملى إيه يا أم عبده " ؟ . لكنها انشغلت عنهم
بالنظر أسفل الجنائز والعجلات ، وبأخف صوت راحتُ تردد : " بيتك
بيتك بيتك .. غسل غسل غسل " ، وإذا بسرب من الكتاكيت الصغيرة
يتدحرج كتلاً صفراً زغبية من بين تعارج الكاوتش ولفأت الجنائز ويتجه
إليها مصوصوا مهلاً .

فتيات المكاتب يشعلن رما دالانهميار

- | | |
|----------------|------------|
| ١- زميلات ثلاث | ٤- فكرة |
| ٢- مایسة | ٥- الأتویس |
| ٣- حسد | ٦- المديرة |

زميلات ثلاث

الحاج حسنى رأسه صلعاء ، وعبد الحميد أفندى أشيب وأثرم ، أما الأستاذ زقزوق فإنه يملك عينين مثقلتين بالزجاج المقعر وتجارب السنين ، وفى المكتب شبان وشابات . الشبان مشغولون بتصفح الجرائد والتهام الساندوتشات ، والحديث عن فواجع الدنيا . والشابات أيضا .. وإن أزدن حكايات المنازل وأخبار الموضة ومسلسلات التلفزيون ونهش سيرة هذه أو تلك ، إلا سامية فإنها مشغولة بالكبار الثلاثة .

هذا ما أكدته أصحاب النظرات الخبيثة ، فهى الوحيدة التى تحرص على استشارتهم فى كل كبيرة وصغيرة ، وهى الوحيدة أيضا التى تستغنى عن خدمات أم السيد وتأخذ الأوراق بنفسها وتأتيهم ، تعرضها عليهم حيث يجلسون فى الصدارة تحت صورة رئيس الدولة ونتيجة الحائط ولوحة التعليمات ، تبسطها على مكاتبهم وتعتمد اعطاءهم قلمها . دائما تعتمد مدّ قلمها لتمكن من مس أصابعهم ، هذه الأصابع الحكيمة ، الأمرة ، القادرة على منح أذونات الانصراف المبكر ومنح المكافآت والأجور الإضافية . أى والله، تمس أصابعهم . ببساطة .. هكذا .. هكذا .. حتى لكأنه أمر عادى .

وهم مستمرؤون اللعبة ، سعداء دون أن يظهر عليهم . لاملامحهم ولا حركاتهم ، خبراء .. محنكون ، فقط ، يعتمدون الإبطاء فى أخذ القلم ، ثم

يسرعون بالتوقيع ، وبعدها يتباطأون فى إعادته ، يتباطأون بالقدر الذى يتيح لهم دس أعينهم وتقليبها فى كنوز صدرها من خلال الزر المفتوح دوماً فى بلوزتها، كل منهم على حدة ، كل منهم بدوره ، دونما ظلم أو اجحاف بحق الآخرين، حتى عيني الأستاذ زقزوق تعرفان كيف تروغان وتندسان فى الداخل الخفى وتخرجان فى التوقيت المتاح لهما تماماً .

تهامست البنات ، ماذا يعجبها فيهم ؟ الثلاثة دقة قديمة صحيح أنهم يأكلون معهم الساندوتشات ، ويقرأون مثلهم الجرائد . لكنهم ينكبون على أوراقهم فى صمت ، ويتسّمون للقادمين فى بلاهة ، ويحيطون أنفسهم بهالة من الكبرياء . يدعون - بوقارهم الزائد عن الحد - أنهم يفهمون أشياء كثيرة، وأنهم يعرفون ما هو أكثر من بنود القوانين واللوائح ، غير أن من يراهم فى جلستهم التى لا تتغير ليظن أن النواميس التى تكبل الجميع ما خرجت إلا منهم ، لكنهم عناكب ثلاثة تُفرز لعبها خيوطاً تحتويهم ، عناكب متفقة ، متسقة ، من نفس السلالة والعائلة ، فالأستاذ زقزوق لا يمهر ولا يضع ختم النسر إلا إذا وَقَّعَ عبد الحميد أفندى ، وعبد الحميد أفندى لا يُوقَّع إلا إذا سبقه الحاج حسنى ، والحاج حسنى رجل طيب ، لكنه حازم . جمع حزمه فى تكشيرة لا تزايله حتى إذا جاءته سامية . ومع هذا فهو حريص على أن يتمتع بما تتيحه له، وهما أيضاً .

أفاقت سُمية إلى أهمية ما تفعله سامية ، ففتحت زرين فى البلوزة واستغنت هى الأخرى عن خدمات أم السيد ، لاحظ أصحاب العيون الخبيثة أنها أمهر من سامية فى دفع القلم ، حتى أن تماس الأصابع يطول وكأنه لن ينتهى ، صحيح أن ملامحهم صلبة كما هى تنضح بالحكمة

كالمعتاد ، لكنها تبدو أيضا - وهذه هى مهارة العيون الخبيثة - أكثر ارتياحاً ورضا وهى تغوص فيما وراء العرونيين .

سامية رأت ما تفعله سُمية . فى الطُّرقة عَنَفَتْهَا ، فأفهمتها غريمتها أنه ليس هناك أحداً أحسن من أحد. فى أول رد فعل ارتدت سامية أضيق وأقصر فساتينها ، فارتدت سُمية الميكروجيب الذى انتهت موضته منذ صيفين . جاءت سامية بتايير مفتوح تكشف البلوزة من تحته عن جزء كبير من صدرها ، ففاجأتهم سمية بفستان سواريه مُعلق إلى كتفها بشريطين رفيعين من الساتان . شفت بلوزة سامية حتى أظهرت السوتيان ، فجاءت سمية ببلوزة ، غير شفافة صحيح ، لكن ليس تحتها سوتيان .

قالت سامية لسُمية : ما تفعليته خطر عليك ، فردت سُمية : القحبة لما تبليك .. صفعتها فردت لها الصفعة. شدت سامية شعر سُمية ، فأخرجت سُمية قلم الروح ولغمطت وجه سامية ، أمسكت سامية بزجاجة الحبر ودلقتها فى صدر سُمية ، هنا فقط تدخل الزملاء والزميلات ، قالوا لسمية : اكتبى مذكرة ، وقالوا لسمية اكتبى مذكرة ، لكن أيا منهما لم تكتب لم تجرؤ أن تكتب ، فأى شئ يمكن أن يكتب ؟ .

وإذ يشغلها ضجيج التصالح ، حملت سميرة أوراقها ونَحَّتْ أم السيد من طريقها ، ثم اتجهت إلى الثلاثة الجالسين بخبرتهم وحسكتهم ، أسفل صورة الرئيس ونتيجة الحائط ولوحة التعليمات ، ممسكة بالقلم ، وفاتحة لعدد غير معروف من أزرة بلوزتها .

مأيسة

مأيسة بنت عفريتة . تضحك وتقهقه كلما أرادت . حيثما استبدت بها الرغبة تضحك وتقهقه . تصبغ شعرها وقتما تشاء وكيفما تشاء . مرة كل شهر وأحياناً مرة كل أسبوعين ، وإن قامت في رأسها فكل يوم . واحدة منهن أقسمت أنها رأت شعرها بلونين مختلفين في يوم واحد .

منها عرفن أن بين البنى والبيج ألوان لا أول لها ولا آخر . وأن الكستائى ليس مجرد لون وحيد ، إنما هو عائلة من الدرجات اللونية المتجانسة ، وعرفن أيضاً أن هناك الأشقر الماهق والأشقر المعتم ، وأن الأسود لا تكون له تلك اللمعة الأخاذة إلا إذا أضيف إليه بعض الأزرق والأخضر .

كما عرفن منها متى يكون " الماشيت " مطلوباً ، ومتى يكتفى (بالآرت شو) أو " البوستيج " . ومتى تكون " الباروكة " هى الشرط الوحيد لإبراز فتنة المرأة واعتدن أن تشرح لهن كيفية عمل حمامات الزيت ومكان وضع البلسم من جذور الشعر ، وموعد الغسيل وكيفية إمساك " السيشوار " لتجفيفه ، والتسريحة التى تليق بكل وجه من وجوههن ، ومتى تفضل قصة " الكاريه " ، وكيف يثبت " البوجودين " ، ولماذا تميل أحياناً إلى قصة " الأسد " .

كنّ يضاحكنها ويقلن : " فاضية " ، وفى أعماقهن كُنّ يشفقن عليها لطبيتها ، ويعتبن على العرسان الذين فقدوا البصر والبصيرة . يتابعن تغيير المانيكير فوق أظافرهما ويقلن : " فنانة " . فالأحمر والذهبي والفضي

والبرتقالي - حتى الأزرق والأخضر - يأخذ فوق أظافرهما أشكالاً عجبية ودقيقة ، ما بين مربعات ومثلثات ونقط وخطوط مستقيمة ومائلة . أشكال غريبة تتغير بتغير لون ونقشة البلوزة أو الجبيبة . حتى الايشارب وتوكة الشعر ، والحداء ، والشنطة والكرافات ، لألوانها من أظافرهما نصيب .

عندها من أصابع (الروح) وأقلام تحديد الشفاه و" الرميل " و" الماسكرا " وعلب " البنكيك " ما لا حصر له .

" مايسة لا يُعلى عليها " .. هكذا كُنَّ يسترعين انتباه زملائها . هؤلاء العميان الذين لا يهتمون بغير الكلمات المتقاطعة ، لا يذكرونها بغير الخير ، وإن ضحكوا معها أو عليها فلتزجية الوقت فقط ، ضربت مكتبها ذات يوم وصاحت " سأصبغ شعري بالبنفسجي " استهلون ما نطقت به ، فهذا اللون لم يرينه إلا على شعور المانيكانات وبنات الكباريهات لكنها أكدت أنها قادرة على أن تفعلها ، أكثر من هذا راهتهن ، قلن : " ستخسرين .. لا أبوك ولا أخوتك سيسمحون " ، إلا أنها ، وبالجراتها ، فعلتها . ضحكت كثيراً واشترت بالرهان أصباًغاً مختلفة وزعتها عليهن . كل حسب لون بشرتها وألوان الفساتين والبلوزات التي ترتديها .

يوماً جاءتهن بيج فوق شعرها ، تعلوه دائرة بها دبوس . قهقهته وقالت : " دش " فلطمنها بالملفات والسجلات ، ضاحكتها وجعلنها مادة لتندرهن ، وهى تشاركهن لطمة بلطمة ، ورمية برمية ، ونكتة بنكتة . غير أنها فاجأتهن يوماً بهيئة لم يعهدنها ، فلا شعر ولا صبغة ولا أبراج . نظرن إلى وجهها ، ذلك الذى لم يعتد إلا الضحك ، وقد أحاط به الحجاب ، ونهضن إليها ، إلا أنها ارتمت على مقعدها وانخرطت تبكى ، وبدون أن تتكلم عرفن أنه قد جاءها عريس .

لم يَرْتَبْ أحد في أمرها حتى رأوا توردها وجهها والتماعة الفرحة في عينيها . تهامسوا وتساءلوا عما عساه يكون قد حدث لزميلتهم الأرملة صاحبة الطفل المشلول . قالت الزميلات : " في الأمر رجل " ، وقال زملاء : " سُمعة المكتب " . نقلوا الأمر للمدير فأصدر تعليماته : " راقبوها " ، فراقبوها . رصدوا سكناتها وحركاتها داخل المكتب ، والطابق ، والمبنى ، إلا أنهم لم يقفوا على شيء قال المدير : " انظروا ماذا تفعل في الخارج " ، فتناوبوا المتابعة . حتى السعاة اشتركوا معهم . لاشيء . من المكتب إلى السوق ومنه إلى البيت . تهامست الزميلات : " ربما كان أحد جيرانها " ، فتحرى الزملاء عن السكان ، إلا أنهم لم يجدوا من يمكن أن تهفوا إليه نفس . قيل :

" صبي أو فتى يأتيها من خارج الحي " فقبعوا تحت الشرفة ، دخنوا السجائر واتخذوا سَمَتَ المخبرين وعادوا صفر الأيدي . قال المدير : " لم يعد بد .. اقتحموا الشقة " . في زيارة غير مرتب لها طرق وفد منهم باب شقتها . فتحت لهم فراوها ، متهللة ، محلولة الشعر ، ومتوهجة ، غير أن عيونهم السخيرة لاحظت أنها تبدو محرجة . ليس لأنها حاولت أن تلملم شعرها كيفما اتفق ، ولا لأنها مالت إلى التحفظ معهم ، فهذه أمور جد عادية ، لكنها النظرات في عينيها ، وذلك الشعاع الذي لم تُفلح في إخفائه . " إنها المباغثة " . هكذا قالت " . إذن فهو هنا " . هكذا خمنوا ، بعيونهم

جاسوا فيما وراء الأبواب، وبآذانهم أرهفوا لكل نامة. فجأة أفزعتهم حركة من خلفهم، فالتفتوا بسرعة، لئلا يهرب قبل أن يروه فتكذب وتدارى، لكنه كان طفلها المشلول يمشى ويتحرك، فى نفس واحد هتفوا: "طاب؟! ". من فورها أخفته عنهم وعادت تواجههم مكبرة مهللة، فاردة أصابعها الخمس، وعلى وجهها ارتسمت التكشيرة القديمة .

فكرة

انتهزت فرصة خلو غرفة الأستاذ من الزائرين وفاتحته فى أمر مرتبها الذى لم تصرفه منذ عملت معه . تعلوه صور الوجهاء الذين يصافحونه . استمع وسكت بامكانه أن يتكلم .. أن يحرك يديه ويشير .. أن يفرد كرمشات جبينه .. لكنه لم يفعل .. فقط أمسك بالسيجار ومر بإصبع فوق شارب الرفيح ، أفاضت فى الكلام . لا تملك أن تفعل غير هذا ، سوسن ولمياء لكل منهما مكافأة . الوحيدة التى لا تصرف هى . لمياء لم تكن تصرف ، من شهرين حُلَّتْ مشكلتها ، حلها هذا الجالس بسيجاره تحت زحام المصافحين ، انطق ، قل شيئاً ، لكنه تشاغل بحلقات الدخان المصاعدة بينهما ، وهى واقفة ما تزال ، نبتٌ بلهاء تنتظر العطية ، دس السيجار فى الزاوية المعتاة من فمه ، هاهو ذا يعود إلى عادته ، أسنانه بيضاء كما هى دائماً . مُطبقة على السيجار تجز فيه " لن يرد " لكنه حرك أسنانه ونطق .. أخيراً نطق :

" من منا أحق بأن يأخذ من الآخر أجراً ؟ "

غُصت ، قالت :

" لى معك عُمر " .

رد:

" تتعلمين فيه وتتمرنين " .

أحست بيديها تتشلىجان ، ودَّتْ لو ثارتْ لو صاحتْ، لو نزعَتْ السيجار
ودسته فى عينه. فكرتْ أن تهبط بالأيدى التى تصافحه فوق رأسه فتشمها،
لكنها لم تفعل ، بلعت ريقها وسكتت . بنامة من إصبعه فهمتْ أنه يطلب
منها الانصراف فشكرته . نعم شكرته ، أقرَّتْ وجهة نظره وشكرته .. هكذا
بيساطة ، ومتعثرة مضطربة غادرتْ الغرفة. غير أنها فكرتْ وهى تغلق الباب
" فى المرة القادمة سأفعل مثلاً فعلتْ لمياء . سأعزى له ساقى وأدنى
وجهى من وجهه واتنهد " .

الأتوبيس

مرَّ الأتوبيس من أمامها فابتسمت له وتركته يمر. مرَّ التاكسي فأشارتُ إليه . فى أول الشارع التجارى نزلت . معها أول مرتب . معها فرحة الانعتاق . سترك للبيت النصف ولها النصف . كل ما ترغب فيه ستشتريه ، لن يوصيها أبوها بالتريث . لن تفرض عليها أمها مالا تريد. أمام أول فاترينة تمهلت . قرأت بطاقات الأسعار ثم تحركت . عند الفاترينة المجاورة توقفت . استعرضت ما فى المقدمة وما فى العمق ثم انتقلت إلى الفاترينة التالية، فالتى تليها، والتى تليها. كل فتارين الشارع مرَّت عليها . وجهها انطبع على زجاج كثير ، واندفس بين مانيكانات كثيرة . انكماشة بسيطة ربطت بين حاجبيها ، وزمة غير مقصودة جمعت شفثيها، فيما ظلت يدها قابضة بحزم على حقيبة يدها . فى آخر الشارع لاح الأتوبيس . من فورها خلعت حذاءها وهرولت إليه.

المديرة

لم تكد الساعة تُنهي دقائقها التسع حتى دخلت. جاءت في موعدها الثابت . وقفت للحظة عند بداية الممر، ثم انطلقت بخطى ثابتة محاطة بنشار التحيات ومرولات الموظفين المسرعات إلى مكاتبهن وأوراقهن . فتُح الباب ودخلت إلى مكتبها ، أصلحت من تايرها واستمعت للداخلين والداخلات . تابعت أرقام نيويورك وطوكيو ولندن وباريس ، وتصفححت قوائم أسعار البين والمارك والدولار الأمريكى . استعرضت عدداً من الخرائط والاحصائيات ، وأصدرت أوامرها بالبيع والشراء ، ثم أملت عدداً من المكاتبات ومهرت بضعة أوراق. لما انتهت الحركة ، وهذا كل شئ من حولها، ضغطت الجرس واستدعت الرجل الوحيد الذى يعمل فى المؤسسة فجاء ووقف ممثلاً . وكعادتها معه دعتة للاقتراب وأضاءت اللمبة الحمراء وفتحت سترة التاير .

صائدات البروق بهن رهق من مذلة

- | | |
|-----------|--------------|
| ١- القرمة | ٤- مخالسة |
| ٢- تنفيض | ٥- افتراس |
| ٣- غناء | ٦- فى زمرةهم |

القرمة

أمام المحل وقفتُ سعدية . فى مواجهة القرمة بالضبط. بيدها المنديل المعقود ، ومن حولها اللحوم المعلقة . الشاش يغطى أغلبها . شاش مُندى بالأحمر. القرمة أطول منها وأغلظ. أسفل منها نام الكلب الذى لا تخشاه ، وخلفها يقف المعلم خفاجة عملاقاً يمسك بالسكين والمسسن تعرفه ويعرفها . تأتبه كل يومين أو ثلاثة ، بنفس المنديل المعقود ونفس المطلب . تناولت المرأة التى أمامها لفافتها فمدتُ سعدية يدها . مدتها بأقصى ما نستطيع . لأعلى فوق . جاوزتُ بها سطح القرمة . مدَّ يده فقالت : فخذة لستى ...

قبل أن يفك المنديل عادت ومدتُ يدها بأقصى ما تستطيع . لأعلى . فوق. جاوزتُ بها سطح القرمة ويد المعلم خفاجة ، بسط المعلم يده فسقطت إلى جوار ربطة المنديل عُملات معدنية صغيرة . عملات من نحاس والمونيوم . قبل أن يعاود النظر إليها ، بادرت :
- .. وعظمة لى .

تنفيض

أمام المرأة تقف . تتطلع لشعرها النافر من ثقوب المنديل ، ولجلبابها
إذ تتماوج زهراته بتماوج صدرها، أسفل منها السجاد والحشايا ، وفي يدها
المنفضة . الغبار معجون بالعرق داخل ثنيات رقبته ، وئمة قطرات تبرق
فوق الجزء الظاهر من ثدييها . ترمى المضرب وتمسح على رقبته
وصدرها . تحس بالدفء يسرى في كفيها فتعاود التطلع إلى المرأة ، تفرد
ذراعيها وتنزع المنديل ، تهز شعرها فينتشر محتوياً وجهها وأذنيها ويمتد
بطوله حتى منتصف ظهرها . تنثنى وتمسك بطرف الجلباب ، ترفعه وتلقى
به في الهواء . بحركتين تتخلص من الأصفرين . حرة خفيفة تقف .
مبهورة الأنفاس ، موردة ، تتقاذف فوق السجاد والحشايا . تتمرغ في الألوان
والنقوش الشيرازية . تحتضن الهواء وتنهض . تشر قبلاتها على سطح
المرأة ، تتأود وتنشر شعرها وترقص ، وحين يصطفق الباب الخارجى ،
وتسمع السؤال الأمر .. " خلصت تنفيض يا بنت ؟ " تضرب صدرها العارى
بكفيها وتنحنى على أشيائها ، ثم تنزوى وراء الباب وتندس فيها قطعة
فقطعة .

غناء

تركوها وخرجوا فهبط عليها الصمت بارداً وثقيلاً . كل شيء كانت قد قامت به ، إلا أواني المطبخ . الصابونة أمامها واللوقة وسلك الألمونيوم والحوض المزدهم ، تعليمات الهانم " المطبخ لازم يكون على سنجة عشرة " علقت المربلة في رقبته وشمرت عن أكمامها ثم فتحت الصنبور وبدأت . أغزتها قعقعات الأكواب والأطباق بالغناء فابتلعت ريقها وتنحنحت . متحشرجاً نحيلاً خرج صوتها غمغمة ، فلدندنة ، ثم استحال إلى أنغام رائقة تبث الفراغ من حولها ما تحب وتهوى . طربت فأزادت وانكفأت على أوعيتها تقررعها وتغنى . من عمق حجابها الحاجز تضخ الهواء وتدفعه إلى أحبالها الصوتية ليخرج نغماً قوياً حياً ، يُرْعش خيط الماء ، وَيُطِيرُ فقاعات الصابون . الرشاقة ارتجت ، والملاعق صلصلت ، تمادت فاهتزت اللبنة ، ورنَّ كريستال النجفة في الأثرية ، ومالت صورة سيدها البيه . حتى الأزهار البلاستيكية في الفازات تمايلت وارتعشت جارت ففتح الجيران نوافذهم ، طرقوا عليها الباب ، وهي سادرة في غنائها ، فرحة بالفقاعات إذ تتطاير وتعلق بالقيشاني وزوايا الشلاجة والدوليب . استمروا في الطرق فلم تسمع . ذهب بعضهم يستدعى البوليس ، وظل الآخرون يطرقون الباب ، واستمرت هي تغنى وتغنى وتغنى .

مخالسة

تقبع ما تزال فوق الفراش المفروود فى ذلك الركن من المطبخ ،
لحظات ويأتيها فى خفة النمر . يدفع الباب الموارب ويدخل . بنفسه قام
بتشجيع المفصلات حتى لا تزيق . و بنفسه ثبَّت اللمة السهارى حتى يرى
لحمها حين يلتصق به . ، سيغلق الباب حتى لا يأتيهما شخير زوجته . لن
تقول له هذه المرة " لا .. لا يا سيدى " . ستبادره بأنها ابتلعت آخر أقراص
الشريط فى المرة السابقة . سيقفز كقط ليعود كنمر ومعه قرص من شريط
زوجه . عندئذ ستهمس له بأن أمها أخذت الذهب الذى اشتراه لها ، وأن
الكلية تطلب مصاريف أخيها ، وأنها تشتهى سوتيان الست هانم الجديد
فإذا ما وعداها ، وحتماً سيعدها ستركه يفعل ما يشاء . وعندما تملكه
النشوة ، وتأخذ منه كل مأخذ ، ستقلبه على الفراش وتعتليه ، وتزجره
بخفوت " حا " .. " شى " . لحظتها سيضحك ، لكن بدون صوت مسموع .

اقتـراس

.. شد شعرها فضحكت . قهقهت وضمته إلى صدرها ، عضها فرمته على السرير وارتمت فوقه . قَبَلَتْه قبل أن يتفلت ، لكنه انفلت وتدحرج وجرى . لحقت به فأمسك بستارة الباب ولفها بها . تأرجحت داخل القماش المطبوع . نمرة داخل فنج . اختطف مقلاة وطفق يضربها فلا تطول غير ركبتها ، في البداية ضحكت نفس الضحكة المتبوعة بقهقهة ، إلا أن الضربات أوجعتها فصرخت . صرخت وسقطت هي والستارة على الأرض . من رقدتها مدَّت ذراعاً وثقبتها . بأصابعها قبضت على ياقة جليابه . حاول أن يجرى فتمزق الجلياب ، انشق حتى الآخر ونعري . تخلصت من قماش الستارة وجرت خلفه . رماها بفازة أصابت رأسها . مدَّت إحدى ساقها وأسقطته على الأرض . عارياً نهض ، ركلها في وجهها فأمسكت بالكم جذبته فارتطم رأسه بيطنها وارتمى ذراعاه فوق فخديها قبضت على ظهره بذراعيها . كلتا ذراعيها والصقته أكثر بيطنها . رائحة العرق في أنفه وزهور الفستان تحت عينيه ، وهي تضغط وتحاول أن تديره ليصبح الصدر فوق البطن والبطن فوق البطن ، لكنه أنشب أظافره فيما طاله من ساقها ، وجز بأسنانه زهور الفستان وما تحتها . تأوهت فدفع ذقنها بقدميه وسحب نفسه لتعلق قدم بفتحة الصدر فتشق زهور الفستان وينطلق نهذاها نافرين معربدان . جن جنونها فأمسكت بملاءة ورمتها فوقه . انبثق منها فأقبلت عليه ، وفي الوضع الذي تريده جعلته . دفع صدرها عنه ،

لكنها كانت قد طوقته وبنهذيها هصرته . صرخ وأرجح ذراعيه وساقيه في الهواء . حاول أن يفتل من أعلى ومن أسفل ، لكنه لم يفلح . فلما همد واستكان لها وجردته من كل ما عليه فُتح الباب وصرخت الأم :

- إخص عليك دادة !!

فى زمـرتهم

كل شئ كما ينبغى . شعرى ملفوف فى اتجاه واحد، شفتاى قرمزيان،
طابع الحُسن فى مكانه ، والبارفان خلف شحمتى الأذنين وتحت الإبطين .
لحظات والتقى بهم . نظرات كالبرق ستومض باتجاهى . هاهم تعلوهم
الثريات وتحيط بهم تماثيل العاج ، وأعمدة المرمر . يتقدمنى الخادم إليهم
فتبادل الإيماءات والابتسامات الباردة. يفسحون لى فأدخل فى زمـرتهم .

لا أقلُّ عن لابسـات الخواتم والأساور فوق القفازات نالقا ونضارة .
الماسات واللالئ تستريح على النحور وتتدلى من الأذان ، تُطل من تيجان
الرؤوس وتتحدانى . لن يمكنهم كشف زيف ما أتحدى به . يعبث الرجال
بيئوناتهم ويدفسون أصابعهم فى جيوب صديرياتهم ويدورن حولى .
اتحدى عن خوفى وأنقل خطوى بينهم ، أدعى المرح فأضحك باحتشام .
مثلهن أظهر الضجر وأهش مالا أراه بمروحتى . تصرخ الموسيقى
فيتخاصرون . أهزُّ أصبعاً لرجل معتدرة وأشير بإيماءة لآخر أن لا بأس ،
فإذا بى أدور وأروح وأغدو فى خطى متعرجة بين أذرع كثيرة تتبادلنى .

أجلس على واحدة من الأرائك الموشاة بالذهب ، يحيطون بى .
متألقون وضّاءون ، يكشرون من الضحك والابتسام . يمر السقا
فيستوقفونهم، ويلتقطون برشاقة ما ينخيرونه . أتاملهم وهم يقضمون أو
يرتشفون . متأنقون ومتحفظون إلى أقصى حد . لا أقيم لأى منهم وزنا ،

فأنا انتظر الرجل الذى لا أعرف اسمه أو شكله ، لكننى هنا من أجله ،
سأراه ويرانى ولن أفلته منى . هو هنا ، بالحتم سيكون هنا .

تتحرش بى إحداهن . وجهها شمعى ومروحتها فضية . " الهانم أول مرة
تشرقنا " . راؤها غين . لن أقل عنها . سأظهر لها أن الغين عند أفخم " . أوربا ..
وأمریکا " آه .. أوربا ؟ .. بارى ؟ " . تتباهى بخنفتها . لعلها تمتحن مدى
ثباتى فى نطق الرء غيناً . " وى .. وى .. روما .. بارى .. مدريد .. برسلونة
.. وبرلين " . " الصيف فى الريفيرا يجتن " . " الريفيرا ؟ .. أووه ..
الريفيرا .. الريفيرا " . كوكبه من الرجال تحيط بى ، تسبقهم كؤوسهم
وعُكب سبائهم . أهز مروحتى وانصرف عنهم فيقبلون على ، ما أن
ينفض المايسترو ، ويعيد تحريك عصاه ، وتبدأ النغمات الوترية تترق فى
الهول حتى يبزغ كما البدر ، من وراء الأجساد التى تنفض لتوها يبزغ ..
تُغشبنى الهالة التى تحيط به . تغشى الآخرين أيضاً ، كأنى به كائن ، نورانى .
هو كما وصفوه لى بالتمام . تكفينى من وصفهم الهالة ، تغرقنى الآن هذه
الهالة . ينزاحون عن طريقه فأواجهه . لا .. لن أفعل مثلهم ، فما جئت إلا
لألقاه .

راعشة أثبت عيني على وجهه . كل هذا البهاء قيد خطوات منى ،
والموسيقى تتدفق من حولى قطرات من ضوء ومويجات من ألحان ؟ .. لو
ضمنى .. لو تعطف وطوق خاصرتى . تمتد يد تطلب منى افساح الطريق ،
لكنى أقف .. أعاند وأقف .. فما تجشمت ما تجشمت إلا لألقاه . على
شفتى ارسم الابتسامة التى طالما تدرت عليها .. أحاول فلا أستطيع .. لا
أقدر .. أشعر بوجهى يلتهب . كل ما يسربلى زيف . كل ما أفعله باطل .

معه ينبغي ألا أكون سوى . لو أمر لنضوتُ عنى كل ما ليس لى .. ما
استعرنه وما قلدته .. ليرانى كما أنا . كما كنت وكما ينبغي أن أكون .. إن
أشار أكسر الرء والغين، وألقى بالمروحة والحذاء، أمسحُ الماكياج وطابع
الحسن ، وأخلع البروش والقلادة الزائفين .

هو ولا شئ سواه ما أبغى . كل ما فعلته وتدربتُ عليه لم يكن سوى
حيل كى أروغ من بواباتهم لألقاه ، هو الذى لم أعرف اسمه أو شكله ، لم
أعرف غير هالته ، وما هو ذا أمامى . قيد خطوات منى . والأوركسترا تغمرنا
بفيوضات من النغم والبهجة .

أيهذا المتعالى فوق الجميع .. يا من يدور كل هؤلاء فى فلكه .. خذ
بيدى واحتوينى . اجعلنى من حورياتك ، فلعلنى أنعم ببعض من عطاياك .

كل الطنافس تذوب . كل الوجوه تتلاشى . البيونات والياقات
المنشأة وفساتين السهرة لا وجود لها . لا سقاة ولا أرائك . لا ثريات
الوجود كله أنا وأنت ، والهالة المنبعثة منك تدنو . لعلها تصل بينى وبينك
لعلك ترتضى أن أصبح مجرد نقطة تدور فى محيطك ، فاسمح لى بأن
أفتح ذراعى وأدعوك لمخاصرتى ولو لمرة . لنرقص سوياً وسط كل هذا
الألق . إن تعطفت علىّ فاعفنى من الانحناءة التى تفعلها هاتيك النسوة ،
أخشى أن أدير عينى فتضيع منى ولا أراك . اعذرنى ، فذاتى أشعر بها تنكسر
وتذوب شعاعاً فى ومض الضوء الذى يشع منك ويحتوينى .

ها .. ها أنتذا تمد يديك . خذُ بيدي وراقصنى . لا .. هاك خاصرتى ..
هاك أنا .. ضم .. ضم .. إه !! .. ماذا يعجبك فى البروش ؟ .. لا تنزع
القلادة .. دع مروحى .. أنت تهيتى . انظر إليهم . إنهم يضحكون .

توقف . أنت تغريهم بى ، ابتعدوا عنى . من يمد يده سأقضمها . من تريد
أن تصبح عوراء فلتقف أمامى .. لا تحيطوا بى هكذا . فستانى الغالى
اتركوه . دعوا شعرى . آه .. ما كياجى .. أيها السفلة الأقدار . ماذا فعلتُ
لكم ؟ .. اتركونى ولن أعود .. لكنهم يتكاثفون ويسدون المخارج .. كل
المخارج .. وهأنذا أستميتُ فى إبعادهم عنى .. وهو يقف هناك ، تحت
الثرى ، يضم ثلة من الفتيات عاريات الأكتاف ويضحك مقهقها .

كريات من غيم فوق أضاء الغواني

- | | |
|-------------|------------------------------|
| ١- سعاد | ٦- ضمير |
| ٢- وجهها | ٧- الفتاة فى المنشقة الزرقاء |
| ٣- يقين | ٨- برنسية |
| ٤- دون جدوى | ٩- مسكنة |
| ٥- زهرة | ١٠- عسل |

سعاد

كل ما فعلته أنهن صمتن ريثما يمر . ومر . فوق مستطيلات البازلت
مشى مستوحداً بنفسه ، وعينه على الأبواب التي يجلسن على عتباتها بعد
أن تجاوزهن لم يسلم نفسه لاغنة الزقاق ، وإنما عرج إلى حيث تكومت
براميل الزباله ووقف خلفها . من مكانه مسح عتبات الأبواب المفتحة .
أيها باب سعاد ؟ .. فكل العتبات متشابهة ، وهن قاعدات يتشمسن على
الاعتاب بجلايب مقورة تكشف منابت الأثداء الملعوب فيها بأفواه وأيدي
الصغار والكبار ، ينبش الأرز المفروش في الأطباق المسطحة ، ويزحن
قشور الباذنجان والبطاطس إلى ما بعد أقدامهن .

الرجل المفلوج وصف له باب سعاد ، لكنه نسي ، بل لم تسمح له
حماسته بالتقاط ما نطق به الرجل . هاهي الأبواب كلها تحت بصره .
وهاهي أصواتهن ممتدة أمامه بعذاء الحبال المدلى منها الغسيل ، قمصان
وجلايب وأقمطة ويشاكير . أيهن سعاد ؟ .. أي عتمة تخفيها بداخلها ؟ ..
حدّره المفلوج من سؤالهن ، ونبه عليه ألا يدخل من أي باب غير بابها ،
لكن أين هو هذا الباب ؟

جميعهن ممثلات مدكوكات ، فلعل سعاد أنحفهن ، لكن المفلوج لم
يصفها له ، وما من واحدة فيهن انحف أو أبدن . هو لا يحب النحيفات أو
مفرطات البدانة ، فكر إن نهضت إحداهن فجسمها فارغ ، فيه من اللدونة ما

يريح ومن الصلابة ما يخيف، وأنا أحبُّ هذا الصنف . هجس : لعل
المفلوج ضحك على . أخذ المعلوم وباع لى السراب ، وإلا فلماذا لم يأت
معى ؟ .. غير أنه راجع نفسه . أنا الذى طلبتُ درء الشبهات . أنا الذى أراد
أن يكون ما يكون فى وضوح النهار ، فى الليل يحدث غش كبير ، ثم ها
أنذا فى المكان الذى وصفه بالضبط. لكن أى باب هو باب سعاد ؟ ..
وأين هى سعاد فيهن ؟

أغلبهن خمريات ، لكن فيهن السوداء والبيضاء والمفلوج لم يصفها
لى . أنا أسمر والبيضاوات أليق بى . منهن تخير من عساها أن تكون سعاد ،
إنها تلك المرأة الخالية من الكلام ، مدورة الوجه ، ممتلئة العنق ، صاحبة
الشفيتين المكهربتين . نعم ، هما شفتان مكهربتان . صدرها ربوة وبطنها
هضبة ، ووركاهما يُخفيان بئراً لا قرار له ، لكن المفلوج لم يصفها لى ،
والأبواب كلها معتمة .

ربما عاد المفلوج ليعطيها مع نصيبتها فى المعلوم أوصافه . هذا يعنى
أنها يجب أن ترانى ، فمن هى فيهن ؟ .. بعدما استعرضت مفاتنهن يجب
أن اتيح لهن فرصة استعراضى . هذا تفكير منطقى . غادر براميل القمامة
وفوق البازلت تدحرج ظله أمامه ، ممتداً طويلاً ، والشمس فى نهاية الزقاق
مالت .

لحظته . جميعهن لحظته . توقفن عن مدِّ حبال الكلام وكفت أيديهن
عن نبش الأرض وأرجلهن عن إزاحة القشور ، نظرن إليه إذ يمشى بتؤدة
يعرفن معناها . اتجه ناحية البيضاء التى اختارها، لكنه خشى ألا تكون هى ،
فالمفلوج لم يصفها له . أعاد الكرة وما من واحدة نطقت أو أشارت، أو

فهم منها أنها تعرفه . لكن رؤوسهن - كل رؤوسهن - اتجهت نحوه ،
وعيونهن - كل عيونهن - تسمرت عليه . قرر : سأسألهن وملعون أبو
المفلوج .

أى شئ يفيد الآن ، فالشمس مالت ، وهو لا يفعلها إلا فى وضوح النهار
. فكم من بثر ملوث ، وكم من عانة تزحمها الحشرات .

وعاد إلى نقطة البدء . من أول الصف . المفلوج أخذ المعلوم ، فإن لم
يلتق بسعاد فهو إذن مغفل ، ومشى أمامهن . رؤوسهن معه . عيونهن عليه .
أنفاسهن باتجاهه . توسط قشور الباذنجان والبطاطس وواجههن . جميعهن
مشربات متطلعات ، ينتظران ما عساه أن ينطق به ، فكر فى أنسب سؤال ،
لكنه عاد وتراجع . ماذا لو لم تكن فيهن سعاد ..؟ ماذا لو كن يغرن منها ..
لو كن غير ما تصور .. لو .. ثم إن المفلوج عمل ما عليه وحذره ، زم فمه
وقفل حنجرتة على الهواء الذى كاد يمر منها ثم استدار . لكنه لم يقطع من
البازلت سوى مستطيلين أو ثلاثة . عاد بعدها وواجههن ، ملأ صدره بالهواء
ومرة واحدة نادى : سعاد . من فورهن وثبن من مجالسهن وجاوبته بصوت
واحد . نعم .

وجمما

لا .. ليست عارية تماماً ، فالغلالة التي بلون بشرتها معلقة إلى كتفيها بحمالتين نحيلتين من الساتان ، ومُذيلة بكرائش اللاتيللا التي لولاها ما مست نهايتي ردفها . متوقداً وقفت خلفها ، ملصقا خدي بخدها ومالئاً كفى بشديها . ظهرها لصق صدري ، وعطرها في أنفى رقيق أخاذ ، متأرجحين غفونا في وقفنا المتشعبة تتأمل أشياء - كما قلنا قبل غفوتنا - لا وجود لها إلا في داخل كل منا . فجأة تخلصت منى فاضطرتني إلى فتح عيني ، رأيتهما تجتاز الباب وتمشي باتجاه الجرسونية . لم تقل لي لماذا فعلت هذا لكنها عادت ومعها شيء ، اليوم . مدت ذراعي لأعاود ضمها ، لكنها انزلت وتربت على الأرض . وضعت الألبوم فوق فخذيها ففاص طرفه بأسفل الكرائش ، لكأنه قد مس المثلث المظلم أسفل بطنها .

حاملاً التهايبى جلستُ إلى جوارها وطوقتها بنراع، فيما ظلت الأخرى خالية بلا عمل ، ضحكتُ وأشارت إلى إحدى الصور : الشلة .. زيزى ، ميمى ، مراد ، عطيات ، وأروى هانم .. أنا أجمل واحدة .. صح ؟ أمنت : صح . قلبت الصور : أنت لم ترني في باريس ولا روما .. المولان روج .. أى والله المولان روج ، فيتوريو .. ألا تعرفه ؟ .. فوتوريو جاسمان نفسه .. يقول لي أريفاديتشى . ما رأيك وأنا خارج من البسين ؟ قبلتُ عتقها : مدهشة . هذه الصورة على سطح المركب .. وهذه في فراتلة الأوتيل ..

سوزى وكلبها ، وفتقته : بعد الصورة قرم مناخيرها .. هل تعرف من تكون هذه الفتاة ؟ ... نظرتُ إلى الضفيرة والفيونكة ومريلة المدرسة وعرفت أنها هي . أنا .. هي أنا .. لا تقل أنك عرفتني .. وهذه أيضا .. وهذه .

استمرتُ فى قلب الصور ببطء فى البداية ، ثم بسرعة ، ولاحظتُ أنها لم تعد تتكلم ، وأن مرحها قد زايلها ، عند الصورة الأخيرة بكت . بل انفجرتُ بالبكاء لدرجة لم أعرف معها هل هذا الرذاذ الذى انتشر على فخذها وصفحة الألبوم هو دموعها أم لعابها .

رَبَّتُ عليها لكنها تخلصتُ منى ونهضتُ تاركة الألبوم على الأرض . وثبتُ إليها لألطفها ، فى مواجهتها صورتها فى أحد المشاهد التى مثلتها . حاولت إدارة وجهها إلى ، لكنها أشاحت به عنى وصرختُ : سيبنى ، واستمرت نبكى ، فعدتُ إلى الألبوم وتفحصتُ الصورة الأخيرة . كانت لطفلة رضية ، لها رأس خال تماماً من الشعر ، لكنه يحمل وجهاً بريئاً ، عرفتُ فيه وجهها .

يقين

أمرها مدهش هذه الفتاة . تضحك فتظنها لن تكف . ترقص فتيقن من أنها لن تنتهى . تقول النكتة فتحلف عن قناعة أنه لا توجد فى الدنيا من هى أفجر منها . بنامة أصغر إصبع يأتبها أكثر الرجال وقاراً . إن أدارت لسانها فى محيط شفتيها طَنَّ الشباب حولها كذكور المناحل . ومع هذا ، يحتفظ وجهها المدور بخيط محير ، نحيل رهيف ، لا يكاد يبين ، لكنه يحيط بالخددين الملساوين والجبهة العاجية ، ويشيع فى ملامحها طيوفاً من علامات الجدد والحذر .

اقتربتُ منها فقالت : " دعنى .. دعنى وابتعد " . لكنى لم ابتعد . استعرضت وسامتى واخرجتُ تذكرتى الطائرة . أكدتُ لها أن الفندق حجز لنا أفضل جناح . هناك .. عند المياه الخضراء الرائقة ، حيث كل شئ مباح ، فى الخلاء وتحت أو فوق ملاءات الفراش ، لكنها قالت : " ابتعد " . ابتعدتُ واستدارتُ ، فرأيت ظهرها إذ يهتز . هى تبكى . هكذا خمنتُ ، بل نيقنتُ ، عدتُ ورئتُ عليها فصرختُ فى : " قلتُ ابتعد .. غُرْ " . شوه الدمع ماكياجها ، فرأيت أنه من الأوفق بالفعل أن أتركها وابتعد .

خطوات ونادتنى : " يا أنت .. تعال " . جثتها فأمسكتُ يدي وفجرتُ واحدة من ضحكاتها : " سمعت آخر نكتة ؟ " . خايلتى الأمل فعبثتُ بالتذكرتين فيما ارتفع طنين المقبلين علينا ، وبحركة كالنسيم وضعتنى بين ذكور المناحل ، وبدأت رقصة تيقنتُ أنها لن تنتهى .

دون جدوى

تتلوى بين أسياخ الموسيقى المساقطة من أبواق الساكسفون
والترومبيت . تتلاطم فترن ، تنقذف إلى السقف فترن ، ترتطم بالأرض
فترن ، وسط الرنين تدور . من فوقه تقفز ، ومن تحته تروغ . عيون الشبان
تتدافع إلى صدرها ، تلتصق ببطنها ، وتلتف بسمانتى ساقياها . تخزها
وتلسعها فتأود وتلف حول نفسها . أصابع الكهول تنقر على الترابيزات،
متحرقة، عاجزة . طرقعات الصنوج تهز الشرايين والأوردة ، بعضهم يهز
كرشه والبعض يفرد ذراعيه ويموجها ، وهى تتلوى وتقفز وتنشى وتميد
مثلما تميد الطيور . العجائز متناثرات فى الأركان ، فى الوسط ، فى كل
مكان . لهن مناقير معقوفة ومخالب مقوسة . يسلطن عليها عيون بلا جفون.
يهمهن فى آذان الزوجات والبنات . يلوين شفاههن ويتباهين بجمال
غادرهن ومضى . يتصبب العرق من كل مسامها ، ينسرب عبر الثنايا ،
يمتزج بالأنوار الساخنة . فوق السرة ثمة اشتعال ، بين النهدين عواصف
ورعود. المدير يقف على مقربة والبودى جارد يعقد ذراعيه خلف العازفين،
وهناك ، فى الأسفل ، يتناثر الجرسونات يفتحون الزجاجات ، ويتلقون
هبات التواقين إلى المجالسة . المهووسون يتجاوزون الرؤوس
والترابيزات . يتنافسون فى الوصول إليها، ينثرون البنكنوت فوق رأسها.
يدسون ما يفردونه داخل السوتيان. يصنعون منه عقوداً يطوقونها به . وهى
جسد عرييد يصهل ويرعد تحت المصباح الدوار ، وعينان تحاولان الفرار
إلى ما وراء السقف والجدران بغير ما جدوى .

زهرة

تجلس على أحد المقاعد العالية مستندة إلى البار وأمامها كأس فارغة .
صدرها مكشوف وذراعاها محوطة بأسورتين قريبتين من الإبطين
الملتهبين بعد نزع حديث الشعر . دارت فوق مقعدها وعلقت على شفيتها
ابتسامة العمل . التقى بصرها ببصر الرجل الذى انشق عنه ستار الباب ،
نحيل ، أشعث ، ويرتدى السواد ، وزنته ورفعت منديلها إلى شفيتها .
نفخت فيه وسلطت عليه عينين تدربتا على الدلال . شحب وجه الرجل ،
فنزلت من فوق المقعد ورفعت يديها إلى الزهرة البيضاء التى تزين شعرها .
سوتها وعبرت من أمام الترابيزة التى جلس إليها . نهض محييا ثم عاد
وجلس ، انحنى إليه الجرسون فهمس له بشئ قال الجرسون : " عشرون
جنيها بخلاف المشروبات " . دست النقود فى حقيبة يدها وتركته يتأمل
وجهها الذى قربته منه ، ويديها الملقيتين إلى جوار الكأس المترعة
والشمعة المنطفئة . بينها وبينه حقيبة اليد وعدد من القطع مختلفة الألوان ،
همت بتحريك شفيتها ، لكنه بإشارة أسكتها وبأصابع متعجلة أخرج ورقة
وقلما . لم يلمس ذقنها بالإصبع الذى حركه ، فقط أداره فاستدارت بذقنها
ووجهها باتجاه الضوء . حدثت بأن التماعات وظلال تمتزج الآن فوق
وجهها وأن عينيه الهائمتين الآن على وجهها تبحثان عن النقطة التى يمكن
النفاذ منها . هاهو يرسمها الآن ، وهى مستكينة صامته ، فقد أيقنت أن هذا
الرجل قد سبر غورها وعرف كل شئ عنها ، وأنه بالقطع سيرسم وجهها
معلباً بائساً ويدين مشققين .. وقد كان ..

ضمير

تركت كل شئ ، الكأس والترايزة ، وعيون الرجال ، وهرولت إلى
أختها .

لا بد أنها فى حالة سيئة، وإلا ما أرسلت إليها بعد كل هذا العمر ،
بكل هذه الالاحاح .

أمام المدخل توقفت . أى شئ ينتظرها ؟ .. أى فاجعة ؟

الشفوق زادت ، وقشور الطلاء لها وقع مقبض ، أعشاش الزنايير
تُرَقش الأركان، وشوارب الصراصير تزحف على الدر ايزين، فأى فاجعة !
جرى ولد لا تعرفه : " أهلاً يا تانت " وقادها إلى الشقة. بأى وجه
ستدخل ؟

بلاطات الفسحة هى نفس البلاطات القديمة . الكلیم نهراً فى مكانه
الأزلى . أصبح مجرد خيوط ووبر .. والغرفة .. آه الغرفة .. نفس اللون ..
نفس الأساس . والترتيب .

تدافع الذكريات يؤلمها . الذكريات السعيدة والمقبضة. أنفاس الدين
عاشوا فى هذا المكان تعود .

ياه !! عينان أم حفرتان فى لوح من خشب . لولا اللعة لظنت أنها
ميتة.

" أنا ميتة يا أختي .. ميتة " .

" سلامتك .. الشر برة وبعيد "

" طلبتك لأسلمك أمانة " .

" أى أمانة ؟ "

" ابني "

صَكَتْ صدرها ،، للصكة صوت الانفجار " لكنك تعرفين فى أى
وسط أعيش " .

" أعرف .. وأنت وضميرك " .

انتهى الدفن فتفحصت الولد . مَلَّتْ عيناها من عينيه ثم أخذته فى
حضانها وبكت ، من يومها تعيش فى ذات البيت وترفض مقابلة زميلات
وزملاء الصالة .

الفتاة فى المنشقة الزرقاء

بالكاد التفت بمنشقتها ، زرقاء فى لون السماء أو فى لون البحر .
لا زركشات أو نقوش . لا سحب أو أمواج . من النهدين تسدل إلى ما
فوق الركبتين ، عيناها لهما نفس الزرقة .

قوارب كثيرة سبحت فيهما . أكاد أحس بخفق قلوب ملاحها ، وأكاد
أرى رعشة أكفهم إذ تحرك المجاديف وخوفهم من أن تشق أطرافها
الأزرق الساكن . لو أنى ركبت سفينتى ومخرت كالمأخرين لتهت وانتهيت
إلى لجة العدم ، لجة أحسها ولا أرها . فلأبقى متفرداً أمام صفاء السماء
وانفساح البحار ، فالضياء روح تغمرنى والألق نورٌ يتلبسنى ، وهى وأنا
جسدان متقابلان . أتوق للتوحد بها ولا أدري فى أى ملكوت تهيم . أيتها
السماء الصافية لفينى بالأزرق الرائق، أيهذا البحر الهاجع لا تبرد . فسماؤك
بلا غيوم وأديمك بلا موج ، أما أعماقك فيقبنى أنها تخفى مالا أقدر على
سبر أغواره .. وحوش ربما ، وربما آلهة تتصارع ، وغرقى لا حصر لهم ..
فأى خبيثة تلك التى حولها يحومون ؟ .. وأى فراديس غلقت أبوابها دونهم
ودونى ؟

التقت أعيننا فذهبت نفسى شعاعاً وتوزعت بين أعطافها . خشيتُ
الاقتراب من عينيها فانزلقت عبر خديها الأثيلين وتحملت بعطر شفيتها .
داخلتنى شواظ النار فتقافزت وارتميت على طابع الحسن فى ذقنها .

أطللتُ منه على الكتفين . عاريان فتوزعتُ عليهما ومنهما هبطتُ إلى
النهدين . مضمومان . بهرني خط مشن . مجرد خط مشن محصور بينهما ،
فتجمعتُ واندفست فيه ، بل حاولتُ الاندفاًس فيه . نعم حاولتُ ، لكني لم
استطع ، فأيقنت أني محترق هذه الليلة لا محالة .

أيهذا الجسم الغائص في الأزرق . أيتها الدفقة المتجهة إلى البراح ،
خذي من ركني المقرور ، شديني إليك . ضميني . ضميني داخل منشفتك
قربيني من حناياك أو اسمحي لي ، فقط اسمحي لي ، بأن أمس الكنوز
المدفونة في الأزرق ، تورد وجهها المُندي . هكذا بدا لي . هكذا
أحسست . شمس فوق بحر . شمس تجاهد ليل شعرها . ملبد بالماء
وملتصق بأذنيها وخديها . مرتم فوق ألق عنقها . شمس ترتكز على زنبقة
وتطل على بحر ساج . وضعتُ كفاً فوق النهدين وضمتُ انفراجة المنشفة
فوق الركبتين فتساقطت شهياً ونيازكاً . تقدمت خطوة وتراجعت خطوات .
قلتُ : ستفعل شيئاً بالتأكيد ستفعل شيئاً ، لكنها لم تفعل أكثر من أنها
زَمَّتْ شفتيها فتدورتا وظهرت في وهجها الشمسي غمازتان . دوامتان من
ضوء ولهب ، تسایل عمري وذاب في الأزرق المنساب ، فيما خايلني
خفق صدرها . لعلها ستهينى بعضاً من كنوزها . نعم ستهينى بعضاً من
كنوزها . لكنها استدارتُ باتجاه الباب المغلق . فتحته ثم اختفت تاركة لي
البلاطات الزرقاء في لون السماء أو في لون البحر ، فضغطتُ على
الريموت واعتمدتُ كل شيء ورحتُ أشم رائحة احتراقي .

برنسية

نعم .. هي البرنسية ، العطوف الودود ، فاتنة الحى التى لا يستبين لها شئ ، يعشقها الفتيان ويطوقونها بمشاعر الامتنان إذا ما وزعت عليهم نظرة .. مجرد نظرة. يطاردونها بخطابات الغرام وطلبات المواعدة ، فترفض بلطف وتتأبى فى شمم . هم أخوتها وأبناء حيتها .. الأجدى أن يخافوا عليها مثلما تخاف هي على أخواتهم ، يتحدثون عن جمالها الفتان بلوعة . يستكثرون أن يظل مستعصياً عليهم . يتشاحنون فيما بينهم ، كل يحاول أن يسبق زميله إلى قلبها ، وهي كما هي تتهادى فى أرجاء الحى. توزع فتنتها وطبيتها على الجميع دون اراء . لما أعتهم السيل استكانوا ، هدأت حركتهم ، وبدا أنهم قد ملّوا المطاردة ، فأسموها " حجرية القلب " وسكتوا. هي أيضاً سكتت .

من كان يظن أن بوابة الحى سوف تفتح عن ذلك السمهرى أكحل العينين الذى ما أن واجهها وثبت عيناه فى عينيها حتى ذابت بين يديه وقبلت المواعدة . وإذ تضمهما تلك الغرفة ، ملتصقى الأثداء والشفاء ، أضيئت الأنوار وظهر فتیان الحى شامتين صاحبين ، أعطوا السمهرى ما اتفقوا عليه وأبعدوه ، ثم أقبلوا على لحمها العارى مفتحي الأزار والأفواه .. حتى بهلول ، عبط الحى ، زاحمهم ليأخذ منها نصيبه .

مسكنة

قالت الأولى :

- مسكنة .. ستقتل نفسها من البكاء .

ردت الثانية :

- مسكنة فعلاً ، فزوجها خُطف منها خطفاً .

- لكنه مات كما يموت الناس .

- لا يموت الناس عرايا في بيوت البغايا .

- هذا أدعى لأن تتمالك .

- إنها صغيرة ولا تعلم أفاعيل الرجال .

- ليس سهلاً ما يفعله الرجال بنا .

- صدقت .. ليس سهلاً ما يفعله الرجال بنا .

وانصرفت الأولى إلى عشيقها ، في حين اتجهت الثانية إلى التليفون وطلبت زوج جارتها .

عسل

جريئة . إن أشارتُ إليك فأنت مقترِبٌ منها لا محالة . لها جسم ملفوف
وكتفان ممثلتان وعنق رائع . شفتاها نبقتان مخضلتان بحمرة لا تعرف أى
يد سحرية رسمتهما . إذا ما خلعتُ نظارتها الطبية رأيت أجمل عينيْن .
ولربما استهواك عسلهما الرائق فشمرت عن ساعديك واغترفت منه . نعم
ستسمح لك فى البداية أن تدنو وتقترب ، لكن هيهات أن تُمنى نفسك
بأكثر مما تسمح لك به . إن فعلت فأنت مطرود ومفضوح ومشخن ،
ويساعدها فى التكيل بك رجال كثيرون قنعوا بالنذر السير الذى تعطيهم
إياه .

اللائى يتوضآن فى زهوة الجحيم

- | | |
|---------------------------|-----------------|
| ١- فتاة التريكو | ٥- بهدوء |
| ٢- المرأة صاحبة الابتسامة | ٦- تريسة |
| ٣- تانت عزيزة | ٧- برش |
| ٤- ميراث | ٨- محاولة للفهم |

فتاة التريكو

الجو حار قبل الأوان . السماء زرقاء وصفو إلا من بعض سحب يشبه الغمام أو يكاد . حشائش الحديقة مشدبة والأزهار إما تتراقص في أحواضها وإما تتأرجح بين الأغصان .

ظهرت ترتدى بلوفرأ وجوية من التريكو ويدها مظلة . وكأنها بوغت بالحر . نعم هناك بعض من نسيم ، لكن الجو حار . البلوفر لونه بيج فاتح ، لكنه من الصوف . رقبته طويلة والشرائط البنية التي تزركشه ليست مجرد شرائط . هي أربطة تزمه من العنق وعند الخصر . المظلة مفتوحة . بها نقوش وزهور في لون الكريمة . لحقيبتها ذات اللون ، إلى جنبها تتأرجح ، ومنها تطل إبرتا تريكو وطرف قطعة لم يكتمل نسجها .

البلوفر صوفى ، هذا صحيح ، لكنه رقيق وفيه رشاقة . فيه أيضاً ثقب نوحى ولا تظهر . كم بدت لطيفة وهى تمشى بلونها الرائق وسط زحمة الألوان التى تلهبها الشمس . لا يمكن لهاتين الإبرتين ، أو لآى إبرتين ، أن تنسجا هذا الجمال المتناغم .

افقتُ إلى ما لو فاتنى لندمتُ . فى مشيتها ما يشجع .. يشجعنى أنا .. أنا بالذات . ذهبتُ نفسى شعاعاً . وددتُ لو وقفتُ قبالتها وركعت أمامها . فوق الحصى المنضود أو فوق النجيل ، أو حتى داخل البركة الراكدة التى تبدو فى البعيد . أركع وأحيط ساقىها بذراعى . ثم أطراف جوبتها . أمسك

بساعديها وأريح رأسي فوق بطنها متوسداً هذا الفن البديع الذي نسجته أصابع أبا ما كانت ، فهي ماهرة .

كأنما عرفتُ ما يدور بخلدِي . بعينيها النجلاتين قالت : " لا .. لا تفعل " ، وأوسعت الخطى . كأنها تقول : " أفعل .. لكن ليس هنا " . لم أتمالك فتبعتها . حاذيتها حتى كدتُ التصق بها . بل إن مرفقيننا احتكا أكثر من مرة تلفتُ حوالينا كأنما تخشى أن يرانا أحد أو أن يقتفى آثارنا أحد . لاحظتُ مرتين ، وربما أكثر ، أنها تهتم بتحريك شفثيها ، لكنها في كل مرة تسكتُ . سألتها بصوت تعمدت أن يكون خفيضاً : " فيم تفكرين ؟ " . لم تُجب فقط مادتُ باتجاه الكوخ الملتف بالأغصان فتبعتها ، فتحتُ لها الباب فزكمتني رائحة غريبة ، ربما كانت رائحة الرطوبة وأسمدة الحديقة ، لكنها دخلتُ فدخلتُ ، رنتُ إلى من فوق كتفها وفكتُ ربطتين أو ثلاثاً من ياقة البلوفر ، قلت : " أنت مطواعة .. لثيمة لكن مطواعة " .

لم ترد ، لكنها - ويا للمفاجأة - زارتُ . نعم زارتُ لم يخرج من حلقها سوى هذا الزئير ، اقشعر بدني ، لكنني خمنتُ أنها تمزح أو تضع بعضاً من توابل المحترفات ، مددتُ يديها إلى شنطتها فخمنتُ أنها ستخرج مرآة أو مشطا أو علبة بودرة ، لكنها أخرجتُ إبرتي التريكو وواجهتني . شرعت طرفيها المديبين باتجاهي ، سألتُ : " مزحة ثقيلة هي ؟ " . لكنها دفعتُ بهما إلى عيني . حركة تلقائية أبعدتُ عيني فانفرستا في صدغي . تأوهتُ " يا مجنونة " .

ورأيتهما وسط ألمي ودمي تنزع البلوفر فهجستُ " هي سادية " . نعم سادية . وتمنيتُ أن تنتهي المسألة على خير ، ثدياها مكوران داخل

السوتيان وشعيرات متجاورة تحت إبطيها . بحلمتي أذنيها وبأطراف شعرها الذي نفر وبرٌ صوفى عالق ، الإغراء قوى ، لكن دعاوى السلامة أقوى . تلمست الباب ، فإذا بالبلوفر يطوق عنقي ، أغلقت الباب بقدميها وسحبتنى إلى الداخل . لم أعرف ، أقاوم أم استسلم ، أضحك أم أعبس ؟ .. لكنها ضغطت بعنف حاولت التملص فلم استطع . متحشرجاً قلت : " كفى " لكنها لم تكتمل . جرتنى إلي سائر من قش فإذا بأدوات وخرق ، بعينين جاحظتين ولسان مدلى رأيت نملاً يمشى فوق قدم متورمة . " لم ألقها بعد للكلاب ؟ " . بصقتها وهى تجرني إلى ما وراء القش ، بكل ما استطعت حاولت فك البلوفر ، وبكل قواها راحت تضغط . التصقنا بالحائط وارتمينا فوق الأرض تمرغنا فوق القش والتراب ومزق الشياب . عبثاً ما أحاول . إن نهضت نهضت ، وإن سقطت سقطت . انغرست الشرشرة فى فخذي فتلويت ، زحفت باتجاه الباب وهى فوقى تشد أكمام البلوفر . أجرها وارتجف . تحكم الشد وأحاول التملص ، زئيرها لا ينقطع وأنينى مخلوط بالتراب والسماذ والدم والباب بعيد .. بعيد .. بعيد .

المرأة صاحبة الابتسامة

ماذا جرى لها ؟ .. شحوب وجهها لا يخدع . أى ورطة أوقعت فيها نفسها ؟ .. لو لم تحبه .. هو يعرف ما ألم بها . نعم يعرف . ربما هجس في البداية ، لكنه الآن متيقن ، يشير إليها وتشير إليه .. غير أن المرأة صاحبة الابتسامة التى لا تعرف الشر تلازمه كظله . دائماً تراها خلفه ، يظهران فى الشرفة معاً ، لكنها لا تجاوره أو توازيه . أبداً لا تجاوره أو توازيه . من النافذة تراها وهى تخلع عنه چاكتته .. تعطيه البيجامة .. تقدم له الأطباق وتشعل له السجائر ، تعطيه فرشاة الأسنان ، وتغسل ماكينة الحلاقة . تفعل ما تفعل على مهل ، لا تدقق فى شئ أو فى أحد ، هذا ما تلاحظه عليها حينما ترتب أو تنظف أو حينما تفتح الباب لضيوفه ، بعد أن تفتح تبسم ، فقط تبسم ثم تخفى وجهها بطرحتها وتنصرف فيما يشبه الجرى .

بالتأكيد لا تعرف بأمر الاشارات ، إن عرفت فلن تغار ، وإن اضطربت فى داخلها نيران الغيرة فلن تسمح لألستها بأن تطال ما هو خارجها ، أفهمها هذا بإشاراته . أى قوة سحرية تلك التى تجعلها تحب هذا الرجل السمهرى الرشيق بشعيراته البيضاء وامراته الوديدة ؟

بإشارات يديه ونظرات عينيه دعاها لزيارته . بإشارات من يديها ونظرات من عينيها سألتها عما سيكون من أمر المرأة الطيبة . محاذراً أعطاها موعداً تكون المرأة الطيبة فيه نائمة فى سابع نومه .

راقبتُ انطفاء النور فى غرفة النوم ، واطمأنت للهدوء وراء النوافذ وباب الشرفة . فما من ضوء سوى ضوء نواسه الانتريه . أضاءها ليوحى بقدر من الثقة لها ، والأمان بالنسبة للمرأة الطيبة .

أحسنتُ من زيتنها وتسلفتُ إليه . أمام الباب فكرتُ فى الكيفية التى سيقابلها بها . لن تسمح له بالتمادى بل ستسمح له بالتمادى ، ستقول له غير المكان لأنها لا تقبل أن تجرح احساس هذه المرأة النبيلة . نائمة أو أقل تلك التى لامست بها الشراعة ، لعلها لم تلمس الشراعة أصلاً ، لكن الباب انفتح ، انفتح بسلاسة وعلى مهل . جاهز هو . دخلتُ فانصفق الباب ، ورائته - بالفرزعا - معلقاً ومطعوناً فى عنقه وصدره وبطنه ، رأتُ أحشاءه مدلاه تتفض وتنبض . هَمَّتُ بالفرار إلا أن السكين كانت أسرع فحزَّتْ عنقها، وإذ تنبثق خراطيم الدم انطبع على بؤبؤى العينين وجه المرأة الطيبة ، ولم يكن عليه أى أثر للابتسام .

ثالثت عزيزة

ربما كانت خاطئة . ربما هرطقت بكلام مما يحاسب عليه ، أو أطلقت سبلاً من النكات التي اشتهرت باسمها ، وربما غلبها هواها فالتقطت هذا الشيء أو ذاك باستئذان صاحبه أو بدون استئذان ، ربما .. وربما أحاط بها كل هذا وسبقها حيثما حلت أو لم تحل . وربما أيضاً صح ما يقال من أنها مسجلة خطرة ، وأنها ضيف دائم على أقسام الشرطة وأروقة النيابات وبوابات السجون ، وربما كان هذا صحيحاً ، وربما لم يكن كله صحيحاً . ربما .. لكن المؤكد أن شيئاً من هذا لم يمنعها من زيارتنا بين الحين والآخر . تزورنا وتأكل مما هو موجود . تتكلم كثيراً وتحكى حكايات مدهشة عن الرجال الذين ضربتهم ، وشعرها الذى لا تعرف كيف تصفقه ، والراديو الذى أخفته فى السويتان فانطلق منه عبد الحليم ، والأرنب الذى لعب تحت الفستان فأخذوها إلى المستشفى لتلده هناك . تحكى وتهرش فى أى مكان من جسمها : شعرها ، إبطها ، صدرها ، بطنها ، و... لا تتخرج من شئ . تقول أحياناً : " مادنا نخلع هدومنا فلماذا نرتديها ؟ " .. أبى دائماً لا يكون موجوداً عندما تجئ . كذلك أخى . تقول أمى : " خذى حمماً يا عزيزة " ، فتدخل . من فورها تغنى وتزعق وتخرج مخلوقة أخرى . بطريقة ما تجيدها ، تتسلل أمى إلى الحمام وتلقى بالفوطة فى الغلاية والمشط فى الزبالة ، ثم تأتينا بأى مشروب ، وتقول " اشربى يا عزيزة " ، فتشرب ، وإذا حان موعد قدوم أبى تنظر أمى فى ساعتها فتنهض ثانت

عزيزة . تأخذ ما تراه جميلاً في عينيها وتمضي . آخر مرة أمي قالت لها :
هذه حاجة البنت " ، وأشارت إلى " ، سألتني ، وهي أول مرة توجه إليّ
كلاماً : " صحيح؟ " .. خرجت من فمها هامة على النقيض تماماً من
طريقتها المعتادة في الكلام ، هزرت رأسي : " صحيح يا نانت " ، فتركها
وخرجت . لحظات وسمعنا هدير موتوسيكل أخي . هرولنا من فورنا
فرايناها تنطلق به . كان من الممكن أن تصرخ أمي . أكثر من هذا ، لو مدّت
يدها لأمسكت بالموتوسيكل لكنها لم تفعل ، لو تركتني لجريت وراءها
وصرخت ، إلا أنها أمسكتني فسمرت إلى جانبها وشخصت بصرى حتى
اختفت . عندما استدرنا للدخول رجتي أمي ، ككل مرة ، ألا أقول شيئاً
لأبي أو أخي . " لكنه موتوسيكل وليد " . حلفت لي أنها ستشتري من
نقودها موتوسيكل آخر . لحظتها .. ولحظتها فقط .. بدأت أسأل نفسي عن
السبب الذي يدعو نانت عزيزة لزيارتنا دائماً في وقت غياب أبي وأخي ،
وكيف تعرف بأمر غيابهما ؟ .

مسيرات

ترحل بعينها إلى البعيد اللامتناهى . لا يهتز لها هذب ولا تعثرى
وجهها المشدود نامة ، وهو نائم إلى جوارها يتماوج داخل جلبابه ويشخر ،
وأسفل منهما يتراص أولادهما على الأرض ، الصبيان إلى اليسار والبنات
إلى اليمين . ما تزال تتمتع بقدر من الملاحاة ، والرجل فى نهاية الشارع معه
فلوس . والرجل إلى جوارها يريد إخراج الولد الكبير من المدرسة ، وعمها
فى البلد البعيد ليس له من وريث سواها وأخواتها ، قال الرجل الذى معه
فلوس : سأعطيك فى كل مرة عشرين جنيها ، والرجل الذى إلى جوارها
أذاب عمره بين يديها وأيدى أولادها ، وعمها لا يريد أن يموت . لو مات
لأمكنهم سداد الإيجار وشراء ثلاجة والاتفاق على تعليم الأولاد . تنكشف
البت الكبيرة ويعرى فخذاها ، والوسطى تستدير هاربة من ثقل الفخذين
العاريين ، فيما يموء الولد الصغير فى حلمه . تثوب إلى وعيها فتهاز النائم
إلى جوارها وتبادره :

- سى عبده .. قم نقتل عمى .

بهدوء

قبل أن تغادر دخلن عليها. مكرمشات الوجوه ، مهشمت الأسنان، فى
ذقونهن شعر وتحت أنوافهن شعر ، عرفتهن بالاسم ، أم عزت ، أم صابر ،
أم ربيع ، أم هشام ، وأم الداوودى ، توجستُ شراً ، أرديتهم السوداء
تعودت عليها عيونهن الكليلة هى التى تُخيف . اسقطتُ الحقيية والتصقت
بالحائط .

" الداوودى كحيان " .

" الداوودى لن يعطينى شيئاً " .

" الداوودى أهطل " .

" أهطل وجلنف " .

" الزغبى بك سيعطينى المال بالزوفة " .

" فيلا وعربية وفساتين سواريه " .

" الزغبى بك سيصلح كل شئ " .

" كل شئ سيصلحه " .

تحت وطأة نظراتهن سكتت . تقدمن فالتصقتُ أكثر بالحائط، بهدوء
أطبقن عليها ، وبطرحة إحداهن خنقنها دون أن تجرؤ على الصراخ ، دون
أن تجرؤ على المقاومة .

تربية

أحبته وأغدقتُ عليه حنانها . أعطته نقوداً ليذهب إلى السينما ، ونقوداً ليتمشى مع أصدقائه ، ونقوداً ليشتري ما يشتهي . حين مرض طبيته . صرفتُ عليه وعلمته ، ولما نجح كافأته ، لكن عندما علمت أنه يمشى مع تلك الفتاة، ضربته وجردته من كل شيء ، أعملتُ فيه سكين المطبخ وقطعت عضوه ، وعريانا مُجرحاً ألقتُ به إلى الشارع وأغلقت الباب .

بـرـش

نزعوا القيد ودفعوها إلى غرفة جانبية فدخلت مرفوعة الرأس متصالية.
أخذوا حاجياتها والتقطوا لها صوراً بعدما أمسكوها لوحة الرقم والتاريخ ،
ثم أسلموها لتلك المرأة التي صعدت لها خدماً وقادتها إلى الحمام ، بعد
أن انتهت رمت في وجهها بالجلباب والطرحة وعبرت بها الحوش .

تداخلت في مسمعيها أصوات الأبواب والمزاليج إذ تُفتح وتغلق بثغاء
الواقفات خلف الأبواب والنوافذ. فتحت صدرها للهواء واجتازت بوابة
العنبر وصعدت السلالم الحديدية . توقفت ماسحات البلاط وتبادلن النظر
فيما مشت هي والمرأة التي تجاورها بخطاهما الثابتة .

أمام الباب وقفتا . ثغاؤهن يأتها متقاطعاً وغير مفهوم، والمرأة
تستعجل الخلاص منها . بنفسها أخذت حلقة المفاتيح وفتحت ، رأيتها
فتوقفن عما كنَّ يفعلن . ثبتن أنظارهن عليها ثم تصايحن وتشقلبن
ضاحكات مهللات، فردت ذراعيها واحتضنتهن جميعاً. زمت شفيتها
وقبلتن جميعاً، ويقدمها ركلت الباب فأزاحت المرأة، وصارت وحدها
معهن .

من فورهن أقمن لها حفلاً وأطلقن كل ما يعرفن من نكات خارجة.
زغردن ورقصن لها وتقصعن وطرقعن بأصابعهن . غنين لها ، ومن الشباك
أذعن خبر عودتها فتدوم في أرجاء العنابر ، وعرف حراس الأسوار أنها
عادت .

في الصباح ، جلست على البرش وبدأت تزاول نشاطها القديم وتفرض
عليهن الأتاوات نظير حمايتها لهن ، فيما بدین مستسلمات طائعات.

محاولة للفهم

كنتُ محتاجاً لأن أفهمها . لما قشرتُ وجهها عرفتُها . عرفتُها لكنى لم أفهمها . هى المرأة ذات الألف وجه . كلما نزعْتُ واحداً ظهر آخر . انهكنى النزاع وأدمشتنى الغرابة ، فأقبلتُ على بوجه لا أعرف رقمه ونهشتُ عنقى ، قالتُ :

- يا أهبل .. متى سمعتَ عن امرأة سمحتُ لرجل بأن يُقشر وجهها . وعادتُ إلى رقبتي تنهشها .

بعد الزعد تمطل الالمطار

- ١- أم محمد
- ٢- المرأة الواقعة على السلم
- ٣- غريمنان
- ٤- طرشى
- ٥- مواجهة

أم محمد

ما أن فتحت أم محمد الباب حتى رطم بالشريط اللاصق شفيتها.
صرخت غير أن الصرخة ارتدت إلى جوفها بعينين أذهلها الرعب رأت
يدى الرجل تنقذفان وتُحكمان لصق الشريط. غصت بصوتها فيما التفت
اليدان بحبل حول كتفيها وذراعيها. شل تفكيرها لما بان لها عيناها.
صارمتان، والقناع صوفى نخين. من ثناباه لفحتها أنفاسه. لها رائحة
النفثالين. أفاقت فجشت وحمّت رأسها بين ركبتيها، لكنه زم شعرها وشده،
تشبث بالأرض فشاطها وأنهضها ليندلق البول على ساقها وقميصها
والسجادة .

خطت بساقها الطليقتين في الاتجاه المعاكس، فرجها ولطمها
بالحائط، استماتت وزامت وأنت . بكل ثقلها الصقت صدرها بالزاوية ،
لكنه أحكم قبضته على الحبل وسحبها إلى الداخل . فتح الأبواب التي
لاقتها إلى أن وجد غرفة النوم ، فرفعها وألقاها فوق السرير، وشد سلك
التليفون فقطعه.

صرخت وجارت وهي تعلم أنها إنما تصرخ لداخلها. محمد في
المدرسة وأبو محمد في المصنع فأى عار سوف يلحقه ويلحقها . خلع
الحزام وهي جسد ملقى في انتظار الافتراس . شمت رائحة صينية
البطاطس . إن لم تُسحب الآن من الفرن احترقت . نقلت في السرير
وأسقطت نفسها فانحنى عليها ينظرون لم يفتح . لطمها ثم رفعها وهبها
على السرير .

ذراعاها إلى جنبها مريوطتان ، والتليفون إلى جوارها بلانفع .

فكرت : باب البلكونة مفتوح ، وقدمای طليقتان . أربع خطوات فقط وأجتازه . سيلحقني صحيح ، لكن الجيران سيروننا أو المارة ، ولربما القيتُ بنفسى .

رفعتُ جذعها وأدارته باتجاه البلكونة ، فترك أزرع البنطلون وكال لها الضرب حتى تورم وجهها ، " لم أربط رجلك لزوم ما تعرفين " . مدَّ كفيه إلى قميصها فمزقه . بعدها اتجه ، متعثراً فى بنطلونه ، إلى باب البلكونة فأغلق الشيش والزجاج وعاد قفزاً . ولأنها كانت قد نهضت ، فقد أرقدها بلكمتين وأخرج نديها من تحت مزق القميص ولفات الحبل ، ثم برك على الفراش وبدأ ينزع البنطلون وما تحته .

سيعرى أمامها كما عراها . عريها يخزيها وعريه سيقتلها . " قدمای طليقتان " . هذا ما رَنَّ فى رأسها ، رفعتُ ساقها فضحك : " تستعجلين .. هه ؟ " . غير أنها فى أقل من الومضة لفتها حول عنقه وضغطت . زام ومد يديه لينزعهما ، لكنها أحكمت شنكله ساقها وضغطت بشدة . قام فسحب جسمها كله ليتدلى بكامله فوق ظهره . فكرت : " لو جلس فجأة أو فك قدمى فسوف يقصم ظهري ويكسر عنقى " . بسرعة مدَّت كفيها المقيدتين من وضعهما المقلوب إلى حافة بنطلونه المعلق بين ساقيه وشدته فاختل توازنه سقط وهى معه كادت ساقاها تنفكان ، لكنها شددت أكثر ، حاول النهوض فأسندت جسمها إلى رجل السرير وأعادته إلى الأرض . بقبضتيه ضغط على ساقها ، لكنها زنقتُ رأسها فى رجل السرير وبكل ما تملك من قوة دكت رأسه فى الحائط .

قال : " آه " ، ومد كفيه إلى رأسه ، فرطمتها مرة أخرى . أحسّت بقوة الفولاذ تسرى في ساقها . ارتخاءات أصابعه الهبتها ، فثنت جذعها وأخرجت رأسها من تحت السرير . جلست على الأرض ، ساقاها حول رقبتها ما تزالان . صوتٌ يخرج من جوفه أم زومة .. لا تعرف .. لا تريد أن تعرف ارتكزت على كفيها المغلولتين ورفعت الساقين فارتفع رأسه هبطت بهما فهبطت رأسه ، رأت الدم إذ ييج أسفل شعره فأعادت الكرة والرأس مطاوعة .

انفكت القدمان فجأة . تبعاً أو خطأ ، فوثبت وبكامل ثقلها هبطت فوق صدره . إذ سمعت طرقعات ، فيما امتدت يداه تشبشان بالحبل الذي يقيد ذراعيها ، فثنت رأسها وضربت وجهه . أحست بالدم ينبثق خيطاً رفيعاً فوق أحد حاجبيها . من فورها هزت رأسها ودلت شعرها ثم انثنت فوق الوجه المدمم ويكل ما تملكه من غل دفست شعرها في عينيه وراحت تحك جبهتها بوجهه وبأنفه وبعينيه .

خلّص جسمه . رفعه وحاول أن يسقطها ، لكنها وثبت مرة أخرى وارتمت بعجزتها فوق صدره فهبط إلى الأرض . عدلت نفسها وغرزت ركبتيها في بطنه وضغطت ، وثبتت وضغطت .. وثبتت وضغطت . أدخلت أحد قدميها في الفجوة بين السروال المعلق بركبته وأعلى فخذيه وأخذت تضرب . تأوه وصرخ . مد أصابع كفيه الاثنتين إلى وجهها . طال فكها السفلى فشده . ضربت في نفس المكان ضربة أخيرة فانتفض ونطق " آ آ .. " وهمد .

منفوشة الشعر ، مُعَرَّقة ، جلست . استندت إلى الفراش ، ثدياها
محزوم أعلاهما بالحبال والحلمتان في الهواء ترجفان . أمامها الجثة ومزق
ثيابها ، فكرت فيما عساه أن يقوله محمد وأبو محمد حينما يعودان . ولأول
مره انخرطت في البكاء فيما ألتها رائحة احتراق البطاطس .

المزاة الواقفة على السلم

بوجه جامد وقفت أمامه . وجهه أيضا جامد . عيونهما متقابلة . كل عين مسمرة في الأخرى ، فمها مزمووم وفمه مفتوح على آخرة ، لم يصدر من أيهما صوت . لم تصدر نأمة . حينما اهتزت جذبت المقبض فخرج النصل وخيط ثخين من الدم . مبهورا تأمل البجة إذ تنفرش بالأحمر فوق قميصه فيما اهتزت شفتاها ورف عليهما طيف ابتسامة . رفع بصره إليها وانقض على عنقها فلم تهتز . لم تطرف . لم تصرخ . فقط رفعت النصل وهوت بها على كتفه فزأر . أطاح بساعديه وعوى . طالت أظافره رقائق من جلدها فسلخها ، بصقت عليه فلم يمسح البصقة ، فقط أرغى وريم انقذف من فمه . السكين في يدها حمراء النصل مشرعة . غرزتها في عنقه فشخر ودار حول نفسه واستند إلى الحائط ، فيما اندفق الدم فوق المقبض وغمر أصابعها ، سحبته فيج الدم ، وانبثق نافورة هائجة من الأحمر رشت وجهها والأثاث والحوائط وأرجحت كريستال النجفة فاصطك ببعضه ورن . ملتاثا هجم عليها ، قبض على عنقها فدفعته عنها ، إلا أنه ارتدى عليها وانهاه على وجهها لطما وهي ثابتة مكانها ، مس خاتمه أحد عينيها فحرقها . من فورها دسَّت السكين خلف الترقوة وغرزت أصابعها المدماه في عينيه . اقتلعتهما من محجريهما فجأر وطاشت يداه في كل اتجاه . فُقت إحداهما بين أصابعها فسالت مياها لزجة مغموسة في الدم القاني والمتخثر ، وتعلقت كتل من هلام بأظافرها وفوق أنفه وأطراف شاربه . أعادت غرز

أصابعها فى المحجرين الخاليين وأوسعت الفجوتين إلى أن اخلتھما إلا
من خيوط الدم النازف . مجنونا مشوهاً عض الهواء وركله ، طالت ركلة
بطنها فانتزعت السكين وطعنت فى الصدر، وفى الحوض ، وفيما بين
الساقين ، وهو جذعٌ يترنح . يُقبل ويتراجع ، ويسكينها تضرب وتضرب
وإذ يسقط تسقط فوقه . بالنصل تجز العنق . من الأذن إلى الأذن ، تقطع
الأوردة والشرابين . تغرسها فى الحنجرة وتفصل الفقارات . ينتفض
الجسد وسط الفوضى المحيطة فتضغط عليه ، تضغط وتزيح الرأس ،
أطراف الأوردة تنتفض ، والدم ما يزال يندفق ، واللحم أسفل منها يعلو
ويهبط . ارتمت على جنبها ، وبالسكين شقت البطن فارتعش الجلد
واندفعت الأحشاء ثعابين تزحف حول نفسها . جثت على ركبتيها وشقت
السروال فصلت الخصيتين وما فوقهما فارتفعت كتلة اللحم وهوت ما
يزال الدم ينزف ، ومن فتحات العانة والبطن والرقبة تصدر أصوات .
غرزت السكين فى مكان القلب فارتطمت بعظمة ولم تنفذ . سحبتها وبكل
ما أوتيت من قوة طعنت فثبت اللحم الذى همد بالسجادة وخشب
الباركية . انتزعتها بصعوبة ، وإذ تهم بالطعن من جديد دقت الساعة
فارتجت ، ارتجت ثم أفاقت . الصمت يحيط بكل شئ . كتلة اللحم
ساكنة حمراء ، والذراعان مفرودتان على استطالتهما ، والأصابع مقوسة
والرأس مطوحة مدلاة اللسان ، والخصيتان فى التصاقهما بالدم قنفذان ماتا
فى بركة . انتصبت واقفة وشدت ثوبها المشغل بالدم والعرق . أزاحت
خصلة التصقت بإحدى عينيها ثم ربت أنفاسها واتجهت إلى الباب
فتحت . على مصراعيه فاصطبغ المقبض بالأحمر ، على بسطة السلم وقفت .
وأمام أول عابر قالت :

خانى .

غريمتان

قف هنا وتابعها وهى تطلع السلالم المؤدية إلى المشغل ، انظر كيف تقبض على حقيبة يدها ، هاهى قد اختفت. لنصعد هذه الدرجات الخمس ونقف عند هذه البسطة . هاهى تترك سلم الموزايكو وترتقى السلم الحديدى . فلنصعد أيضا درجتين . هانحن فى موقف يتيح لنا رؤيتها . الحلزون يخفيها فتعال إلى شباك المنور . احترس وإلا لمحتنا . هاهى تضغط جرس الباب . انظر إلى وجهها ، هل ترى ؟ .. تضغط على نواجزها وتحرك أصابعها على قفل الحقيبة . إن لم يكن هذا هو التوتر بعينه فماذا عساه أن يكون ؟ . اخفض رأسك فإن الباب يفتح .. يا الله .. هذه هى غريمتها إذن . يا لجمالها الأخاذ ، ظل عينيك بكفيك حتى لا تغشيا مثلى . انظر إلى بساطة ثيابها ووداعة نظراتها إذ تستطلع وجه الواقفة أمامها ، حديد الدرايزين يُخفى أموراً كثيرة. أنتبه ، الغمّازة الرائعة التى تتوسط ذقنها تهتز وتضيق ، وأصابع غريمتها تفتح الحقيبة . ماذا عساه أن يحدث ؟ .. لماذا لم تأت منها من الباب الأمامى ؟ ..

هش . اسمع . الجميلة نهم بالكلام :

- إذن فأنت التى تعيشين معه .

- نعم .. وأنت التى فتنته .

- نعم .. لكنى مشغولة جداً الآن .

- لن أعطلك كثيراً .

هيا .. اترك النافذة وتعال نصعد. اقفز والحقنى. " أخ " . أغلقتا الباب.
ترى ماذا تقولان ؟ .. ماذا تفعلان ؟ .. أى شئ سيخرج من الحقيقة
المفتوحة ؟ .. لو نفذنا من هذا الباب .. لو .. انصتْ . ثمة جلبة وراء
الباب . هذه أصداء صياح . آه .. هذه طلقة رصاص ، قطعاً طلقة رصاص
.. الحقيقة المفتوحة .. تذكر الحقيقة المفتوحة .. فلنخبط على الباب .. لا
ينفع الخبط فلنقتحمه .. هُبْ .. هُبْ .. هيلاهوبْ .. يا أله .. تتحاضنان
وتبكيان .. إنهما تتحاضنان وتبكيان . فتيات المشغل يُحطن بهما ، أياديهن
على أفواههن وصدورهن . انظر إلى الحائط ، عينا رجلهما فقتنا ورقبته
دُبِحتْ بزجاج الإطار المهشم .

طرشى

هبط (جميل) إلى الحارة . مثل فلقة القمر رآته (وجيدة) . يتمخطر
فوق مربعات البازلت ، ويتجه إلى الركن الذى تقبع فيه (جميل) له
شارب رفيع ومقاصيص تتأرجح فوق جبينه . كأنه يبحث عنها هى ولا أحد
سواها . كأنها تنتظره هو ولا أحد سواه . (وجيدة) فقيرة ، هذا صحيح ،
لكن ملامحها مقبولة ، ولديها تحت فستانها أشياء تخفيها .

- أنا يتيم .

- وأنا أيضاً .

- ليس لى أصدقاء .

- ليس لى أحد .

مد (جميل) يده ومدت (وجيدة) يدها . بادرها .

- كل شئ هنا يخنقك ..

وهام فى عينيها :

- .. أنت هنا ميتة .

أشاحت (وجيدة) بوجهها حتى لا يرى (جميل) الدموع إذ تبلل

خديها .

- تيكين ؟

- لا .. لا ..

(وجيدة) لم نعتد الإمساك بمناديل تصلح لكفكة الدموع . لا نملك ما نشترى به منديلاً من ورق أو قماش . جففتُ خديها بأصابعها التي أخرجتها لتوها من برطمان الطرشي وارتج عليها . لا تعرف أى شئ تقول .
قال (جميل) :

- تماسكى .

ونظر إلى عينيها .

هجستُ بأنه سيقول كلاماً كثيراً ، وأنه ربما طلب منها ما يغير حياتها . ربما خلصها من برطمانات الطرشي والمخلل . لن ترفض له طلباً . لن تكسر له قلباً . لو طلب الزواج ستوافق . لو شاء أن يعاشرها دون زواج ستعاشره . تعبأت تماماً وتهيأت له . بكل مسامها تفتحت ، كيف يمكن لشفتين أن تقولاً كل هذا الكلام الحلو ؟ . ليتنه لا يكف . لا .. ليتنه ويحدثها بما يريد . نعم ليحدثها بما يريد ، فكل ما ينطق به حلو . حلاوة الملبن والعسل ، ابهجها أن تلتقط من فمه الكلمات الأكثر بريقاً وألفة .. الكلمات التي تريد سماعها : (سأخذك) .. (تعالى معي) .. (لا تتركىنى) .. يالها من كلمات . يالها من بشارة . حشته بعينها .. قل يا (جميل) .. أكمل .. قل ..

فجأة انتهى (جميل) . فجأة نطق . نطق بما أجمها قال :

- نحتاجك فى الكباريه الجديد .

بغير ما تردد أمسكتُ برطمانات الطرشي وبها ضربته .

مواجهة

" لنفترق "

قررت وليكن ما يكون . إلا أن المرأة المظلة من المرأة أوقفتها . تبادل
النظر . كلتا هما تشبه الأخرى ، غير أن امرأة المرأة أقوى . بادرتهما :
احتشدي ثم أطلقها " لنف...ترق " . لا بأس ضُميها لكن بقوة . " لنفترق " .
لا تتنحني . بادريه بتفجيرها . أطبحي بوجهه " لنفترق " . ليس هذا كافياً
قولي .. " لنفترق " . انفجري .. هيا .. انطقي ..

- " لنفترق " .

جميل .. مرة أخرى .

- " لنفترق " .

كرريها .

- " لنفترق " . " لنفترق "

رائع . إذهبي إليه . أذيقه ما أذاقك . دمريه ، فأنت الآن جاهزة .

مشحودة الهمة حملت حقيية يدها وانصرفت . وإذ نههم باغلاق الباب
توقفت . يدها على الكالون وصدرها ما يزال يعلو ويهبط ، إصبعان تحركا
أو ثلاثة ، التواءات اعترت وجهها واختلاجة هزت جسدها . مسرعة عادت
إلى المرأة تواجهها . هي نفس المرأة . لم تمهلها . بكل ما لديها من غل
سبتها . ركلتها في قصبتها وبصقت عليها ، ثم عبأت نفسها في لكمة
واحدة وجهتها إلى فكها فانهارت تماماً وتوزعت مع هشيم المرأة شظايا ..
مجرد شظايا .

للوطن منهم حضور .. للوطن فيهم نصيب

- | | |
|----------------------|---------------------------|
| ١ - تلك الفتاة | ٦ - بلد |
| ٢ - سامية وزفت الطين | ٧ - البنت فى الثوب الأحمر |
| ٣ - تراشقات | ٨ - رياح |
| ٤ - نورانية | ٩ - لا |
| ٥ - إمراة بذيل | ١٠ - التهاب |

تلك الفتاة

من أين جاءت تلك الفتاة ؟

أى قطار ألقى بها .. أى أتوبيس أو طائرة ؟

قيل بل رماها البحر ، وقيل أسقطتها سحابة . إلا أن البحر الرصاصى
احتاج ومد ألسنته " لست أنا " والسماء الملبدة سمحت للسحب المغتاطة
بأن تبول علينا فبالت وتقلقت البحيرة فارتفعت نوافير الطين وغطت
المتجمعات المتماسية بحوافها .

قال السائقون والكمسارية والحمالون ومفتشو الجمارك " لم نرها فى
محطة أو موقف أو مطار " . وزار كبير الشرطة "ربما انبثقت من المجارى".
فانبرى رئيس البلدية " مجاريننا نظيفة ، ما فيها نتاج الأطهار البررة " . لكنها
الفوضى تتفجر فى كل مكان تظهر فيه . تشور أتربة وتشتعل حرائق ويعم
الهباج . الكباش والجديان تناطحت . انطلقت هى والقطعان من الحظائر
إلى تقاطعات الأسفلت واقتشرشتها . تطايرت أعراف الجياد والأفراس
وقدحت سنايكها بلاطات الأرصفة ، واختطلت الأبقار بالثيران والخنازير
وذوات الألسنة الصنوبرية ، فيما مد البشاروش أعناقهم وطار هو والبط
وطيور الغر فوق بيوت المدينة .

تشبثت الحرائر بحواف النوافذ لئلا يسقطن ، وفرحت بنات الشوارع
وهلن ، فيما هجر الأزواج الأسرة ، وتخفف الفتيان من الأثقال التى

أجبروا على حملها ، وتواثب أصحاب العيون المطفأة بالإتجاه الذى تكون فيه . " أولادنا يتسربون . يمشون وراءها ويهطعون " . ثم ركل نقيب المعلمين المنصة وألقى بالميكروفون . مصفر الوجه اعترف أمر المرور " فقدنا السيطرة على الشوارع " . وفى البورصة علا شخير السماسرة واحتقت جلود رجال الأعمال . ضج الحكماء بعدما فارقتهم ابتسامات الدراية ، " وأين صناديد الجيش ؟ ! " ، غير أن راكبي المجنزرات تركوها ، وحاملي الأسلحة رموها ، وفك الجند أزره ستراتهم وتبعوها .

تراكل الساسة ورجالات الحكومة ، وكتبت الصحف عن الوزير الذى فر من تحت القبة بعدما أسال التواب دمه ، قال عدد من المحللين " لا يعنى ظهورها فى مدينة واحدة أنها أصبحت مشكلة قومية ، " إلا أن الدوائر الانتخابية التهبت لما ظهرت فى كل النواحي بذات الهيئة فى ذات الوقت . لم يراها أحد فى محطة أو موقف أو مطار . لم تنشق من أرض أو تنقذف من بحر أو تسقط من سماء يكفى أن تتجمع فى الخلاء أو بين البيوت كتلة من رياح أو ألق من ضياء ، أو غمامة من غبار أو دخان أو ضباب فإذا بها موجودة ، وإذا بالجنون وبالحرائق .

قالت صخرة " هى وحدها ولا أحد غيرها يستطيع تحريكى " . وتنهدت حصاة " ليتها تمر على . لو فعلت لتحولت إلى هضبة أو جبل " . واهتزت قشور الملاط فوق الجدران ، وتأرجحت فيما تلاطمت الحشرات فى خروجها من تحت جير الحوائط ومن الأخرام التى أحدثتها الرطوبة .

" ميتافيزيكس " ، بل " ميتامورفوسيس " ، ربما كانت هى " الميتابوليزم " .. لا هذه ولا تلك ، إنما هى حالة فريدة من حالات " المتياربالزم " . وتضارب أساتذة الجامعات والعلماء . خلعوا

مهتاجين أرواب الوقار وشهروا المشارط والأحماض وكتل المراجع
والموسوعات في أوجه بعضهم البعض . دمروا بأيديهم أناييب الاختبار
والمعامل والمكتبات وغرف البحث والمدرجات ، وخرجوا مشخين
مشعين إلى الشوارع وركضوا ركض السوق والعوام باتجاهها .

باقتضاب قالت المديعة إن المتحدث الرسمي لمؤسسة الرئاسة صرخ
بأن الموقف تحت السيطرة ، في حين نقلت وكالات الأنباء صوراً حية
للقلق الذي يسود الدول المتاخمة ، وانكفاً أعضاء المفوضيات في الأمم
المتحدة على المذكرات التي انتووا تقديمها إلى مجلس أمنها وجمعيتها
العمومية .

وما تزال الأثرية ثور والحرائق تشتعل ، وشاهدها حراس الحدود
بأعينهم المجردة ، وما يزال السؤال يتردد : من أين جاءت تلك الفتاة ؟

ثبت الحواشي :

- ميتافيزيكس Metaphysics ما وراء الطبيعة .
- ميتامورفوسيس Metamorphosis التحول أو الانسلاخ .
- ميتابوليزم Metabolism التغيرات الكيميائية في الخلايا الحية المرتبطة بالطاقة والنشاطات الحيوية والمتصلة ببناء البروتو بلازما وهدمها أو ما يعرف بالأيض .
- ميتارياليزم Metarealism من اشتقاق المؤلف ويقصد به ما وراء الواقعية ، أو الواقعية الأسمى ، وهو مصطلح أدبي سبق لتبرير ظاهرة غير طبيعية .

سامية وزفت الطين

اختفت سامية . خطفها العساكر ووضعوها فى البوكس كانت تتظاهر وتهتف وهم بخيصراناتهم يضربون . رمتهم بشئ وجرت . رمتهم لأنهم أخذوا أخاها بالأس . أمام أبواب البيوت وداخل الدكاكين المغلقة دار لغط ، قيل لم يخطفوها بل قتلوها ، وما وضعوه فى البوكس هو جثتها . وقيل : بل أصابوها ونقلوها إلى مستشفى لا يعرف لها عنوان . المكروبون قالوا إنهم قبضوا عليها مكسورة الأنف مشرومة الشفة لكن سليمة ، وأن ما بها من حسن قد يضعها بين فكى اليوزياشى زفت الطين .

اليوزياشى زفت الطين يلقى الرعب فى نفوس الكافة . رجال ، نساء ، عيال ، لا يهتم . كلهم عنده كلاب وأولاد ستين كلب ، كلهم منه مرعوب ، لا يعرفونه بغير هذا الإسم . اسمه الحقيقى طُمس واندثر ، لا يكاد يُذكر فى غير المكاتبات واستمارات صرف الرواتب . شغفه بالفقيرات ومن بهن مسحة من جمال - مجرد مسحة من جمال - تحكى عنه روايات وروايات . من راقته له استعملها أو أهداها لواحد ممن يجاملهم . لذا فإن الشكاوى التى تقدم ضده تحفظ فى الأدرج باعتبارها شكاوى كيدية ، وأحيانا - بحذق وحذر - يُلوحُ بها فى وجهه ليتوخى الدوق والنظافة فيمن يرسلهن .

لا توجد امرأة أو بنت تطمئن على نفسها إذا ما احتاج زفت الطين أو أصابته الغُلمة . الضحية نجد نفسها فى ورطة ، فإما الاستسلام وإما الفضيحة ، ولربما السجن .

الأمهات يخفين وجوه بناتهن ووجوههن أيضاً خوفاً من عينيه ومن عيون
المخبرين . المخبرون يُعاملون معاملة الباشاوات لأنهم الأكثر دراية بما فى
البيوت . جهاراً نهاراً يقبضون المعلوم وإلا هياوا الأمر لليوزباشى زفت
الطين .

ربما صادهن مثلما تُصاد الفراشات ، وربما تساقطن عليه مثلما يتساقط
الذباب . مع الذباب الأمر أيسر ولا يتطلب جهداً ، يحدث هذا فى قضايا
السرقه والمخدرات والدعارة. نعم .. هذه القضايا معين طيب. لكن مع
السياسيات فالأمر شديد العسر ، فلم يكن يوماً فراشات أو ذباباً ، ويحتجن
إلى مهارات صيد خاصة .

وهاهى ذى سامية تدخل إليه برجليها . سامية التى ترتدى الرشيق
الأنيق وترفع الياقة وتشمر الكممين . البلوكامين عبد العال أشفق عليها،
أعطاهما القُلة لتزيح الدم المتجلط فوق وجهها ، وبشريط ورقى مصمغ
كبس قطعة قطن ، عاصها بالميكروكروم ، فوق الشفة المشرومة . هكذا
نزل عليه سهم الله . وسهم الله حين ينزل لا يحتاج إلى أسباب ، لكن
البلوكامين عبد العال جمع من الأسباب ثلاثة . فهى بنت بنوت ، وهى
جامعية ، وفيها - وهذا هو الأهم - شئ من حسنية ابتته التى دفع بها إلى
كلية فى محافظة بعيدة لبعدها عن ابن القحبة زفت الطين . فى واحدة من
نوباته الشجاعة تعمد أن يكتب إلى جوار اسمها بخط عريض يخرق
العين (قضية سياسية)، لعل زفت الطين يعمل لها حساب ويفكر فيما
وفيمن عساهم أن يكونوا وراءها . لكن لحظها العاثر لا يوجد بالحجز من
جنس الحريم سواها .

قال : هاتوا لى بنت الكلب اللى اسمها سامية .

تفرس فيها من فوق لتحت واستملحها :

- انت يا بت عاملة لى زعيمة .

لم ترد ، وفى الخارج راح البلوكامين عبد العال يأكل فى نفسه :

- بقى بتضربى البوليس ، وبتتهفى ضد الحكومة ؟

ومثلما هى العادة ، فتح ملفا ليس به شئ :

- حاتروحي فى ستين داهية

وقرأ من دماغه :

- تقويض نظام الحكم .. تأليب طبقة على طبقة .. ترويع شائعات ..

قيادة المظاهرات ومقاومة السلطات

ورفع عينيه وغزهما فيها .

- يمكن نلاقيلك كمان تهمة الانضمام إلى تنظيم مسلح .. مش أبوكى

اللى احنا قبضنا عليه إمبارح .. أبوكى واللا أخوكى ؟

جاء التليفون بالفرج للبلوكامين عبد العال ، فاقتحم الباب فى الوقت

الذى اقترب فيه زفت الطين أو كاد من سامية . رطم الأرض وضرب تعظيم

سلام :

- القرية السياحية بتشتكى من ثلاث شحاتين بيضايقوا الزبائن .

على الفور نالته من العينين المشتعلتين شعلة حريق :

- جرى إيه يا عبد العال .. مش شايفنى باشتغل ؟ .

خرج عبد العال مغيظاً مهيضاً ، ومن ورائه أغلق زفت الطين الباب
بالترباس وبحركة واحدة احتوي وجه البنت بين كفيه :

- خدى المسائل ببساطة تستريحى .

من فورها انتزعت وجهها وجسمها . تدلى الشريط المصمغ فألصقته
وتراجعت . تقمص هيئة القط .. هيئة اعتادها وحققت نجاحات كثيرة ،
لكنه فوجئ بها قطة من نفس الجنس . خمشته فى وجهه فلطمها . دفعته
فدفعها . وفى اللحظة التى سقط فيها البارافان وانقلبت الكنية . كان
البلوكامين عبد العال قد أرسل على مسئوليته إشارة إلى النيابة بخطرها
بيانات المقبوض عليهم فى مظاهرات الصباح ، أكثر من هذا كلم عامل
السويتش بنفسه وناشده أن يتدخل لدى سعادة رئيس النيابة أو سعادة
الوكيل لانقاذ البنت من زفت الطين . لكن عود البنت كان قد انثنى تحت
زفت الطين ولا مس ظهرها بلور المكتب . سمع شحيبه وأناتها وحرار ماذا
يفعل ، لو اتصل بالقادة فالدنيا ستقوم ولن تقعد وهو الخاسر فى النهاية.

لم تُفلح الأشياء التى خطفتها سامية من فوق المكتب ورطمتها بها .
عثرت يدها على فتاحة الخطابات فغرستها فى قفاه ، اعتدل وتأوه فهرولت
إلى حيث مطفأة السجائر البللورية وقبضت عليها . نزع الفتاحة وترك دمه
يسيل :

- يا وسخة يا بنت الأوساخ .

كلب مسعور أو ذئب هائج . هذا ما رآته إذ يعاود الهجوم بقبضة

طائشة انتزع خصلة من شعرها . بالمنفضة رطمت صدغه ، بصق الدم فتدلت من فمه سنة وتأرجحت . بلكمة سقطت القطنة من فوق شفتها فبان الشرم . بكل قوتها صفعته صفعة رجته ، طال بلوزتها فمزقها ، دارت عرى صدرها بيديها ، فأمسك بالحمالة لكنها راغت . إذ ذاك قبض على طرف جوبتها ورفعها . بانث ركبناها فابتسم . مُخَنّاً مُجَرَّحاً ابتسم . ليس بينه وبين متبغاه إلا اليسير الضئيل .. هذا ما طمأن به نفسه . لكنها فاجأته بضربة بين فخذه وجرت صوب الباب . تثبث بإحدى ساقيهما يستوقفها ، ضربته بالقدم الأخرى ولم تتوقف . فقط انخلعت فردة حذاء في يديه ، رماها بها وكان الأقرب إلى الباب فحال بينها وبينه . هذه حال لا تسر . لو تطلب الأمر سيخرج الطنبجة .

البلوكامين بالخارج يحترق . لماذا هذه المرة ؟ .. لماذا بكل هذه القدر من الاهتمام ؟ .. سيفعلها ويكسر الباب المتربس . لكنه الآن مشغول بسويتش النياية . حلف العامل " والله العظيم قلت للاثنين . والله العظيم قلت لهم كل اللي انت قولتهولى .. والله كل واحد قال لى طيب " وفى الداخل وقفا متواجهين . هو مستنداً ظهره إلى الباب وهى وسط ركام الغرفة . يداها فوق ثدييها ، وبعض مزق من البلوزة . سنته المدلاة تزيده بشاعة وتزيدها قوة . تقدمت فألصق ظهره أكثر بالباب . مَدَّ ذراعيه ليصرعها ، لكنها تقدمت نحوه . نظرت إلى ما بين فخذه فانتبه إلى أنها قد تعيد الكرة مَدَّ كفاً ليحمى المنطقة فانتهزتها فرصة ولكمته فى فمه . فى السنة المعلقة . انغrust بالشفة العلوية وشرمتها " واحدة بواحدة " . مالت قليلاً فمال هو أيضاً . من فورها جذبت من شعر رأسه لينهبد بكل جسمه على الأرض ضربته بقدميها وسحبته إلى وسط الغرفة ، عدلت وجهه

المائل إلى الأرض . جعلته في مواجهتها بالتمام ثم كورت بصقة الصقتها
بين عينيه .

خطت من فوقه ، وبكل ما بها من عزم فتحت التراباس . تواجهت
هى والبلوكامين عبد العال الذى انتفض . كادت تنهار . راعة حالها فأفسح
لها الطريق . همّ حارس الباب بإيقافها ، فأشار إليه أن اتركها فتركها ، فيما
جاء وكيل النيابة وكاتبه . بخطى مستقيمة اتجها صوب البلوكامين عبد
العال وسألاه عن اليوزباشى زفت الطين . بهدوء أصلح البيريه وتقدمهما
إلى الباب المفتوح .

تراشقات

السماء صحو ، زرقاء صافية . من البعيد تأتي أصوات التراشقات المتبادلة . ننظر إلى انعكاس صورنا فى الماء فتجعدنا أنفاسنا ، ثم ما تلبث أن تلتهم لتعود فتتمدد ، وفى الأسفل منها الأحجار ، بيضاء ساكنة ، و ثم سمكات ضيئلة الحجم تهتز فى مواجهتنا ، فيما ظل هو راقداً فى القاع ، وعلى وجهه انطبعت الشمس التى تحمم بها كثيراً . عيناه مفتوحتان باتساعهما ، وشفثاه منطبقتان على ابتسامة صماء ، شاردة غسلة . المياه آثار المطاردة وحمرة الدم ، عدا بقايا خفيفة ظلت تحف بشراشيب الثقب المهدب . نرى فقائيع الهواء إذ تصاعد من داخل الثقب فتهتز الشراشيب محمرة الأهداب ، وتهتز .

نهتف :

- هى الحياة تدب فيه .. هو حى ... هو حى ..

غير أن ثعبانا مائياً يأتى من ناحية قدميه الحافيتين ويلتف حول عنقه ، ثم يمر من أمام عينيه المفتوحتين ، ويعبرهما إلى البندقية الملقاة إلى جوار كفه المفرودة باتساعها . يدور حولها ثم يدخل الماسور ويسكن بداخلها .

نقول كُبرانا :

- هو أبونا .. تمننا فى خبرة الحياة إذ ترسم على وجهه .

ونقول الوسطى :

- هو أخونا .. تأملا العزم الذى تنطق به ملامحه .

وأقول أنا :

- بل هو ابني .. أنظروا كم هو جميل وحالم .

وجاءت سمكة . دارت حول وجهه وألصقت فمها بالشفتين
الباسمتين، فلم ندر هل تلتقط شيئاً أم تُقبِّله . ضربت بزعانفها الماء فامتط
الوجه وتعرج ثم عاد والتم . ظنناها قد عادت من حيث أتت ، لكنها
اتجهت إلى الصدر ومست الشراشيب ومن الثقب المهدب انزلت إلى
داخله فامتز الصدر والبطن لكن وجهه ظل على ما هو عليه ، وظلت شفتاه
منطقتين على ذات الإبتسامة الصماء الشاردة ، ولم تتحرك كفه المفرودة
على اتساعها بجوار البندقية .

بكينا وقلنا :

- لا يمكن أن نتركه هكذا .. فلنرفعه وندفنه بما يليق . شمرنا أكمامنا
وذبول جلابينا وهبطنا إلى ماء البحيرة .

لكن أقدامنا عكرت الماء فلم نره . دلينا رؤوسنا حتى ابتلت ضفائنا
وخضنا في الماء بكامل ملابسنا فلن نره . تخطفنا القاع المعكر بقبضاتنا
دون أن نلمسه . أخذنا الهوس فرحنا نضرب الماء من أسفل ومن أعلى ،
نرتمى فوق عكارة القاع ونجوس بين الطحالب ، نحفر ونزحف ونقلب
دون أن نجد . فى وقت واحد خرجنا إلى الحافة مبلولات ، شعثاوات ،
تهزنا ارتجافات البرودة والحسرة ، ومن عيوننا انهمرت الدموع حارة
ملتهبة إلى أن صفا الماء ، فرأيناه ثانية راقداً فى القاع ، وعلى وجهه
انطبعت الشمس التى تحمم بها كثيراً ، ومن البعيد ظلت أصوات
التراشقات تأتينا عالية مفزعة .

نورانية

عجباً لهذه الفتاة ، أمى كائن أثيرى لا نعرف كنهه ؟ .. أم هى ملاك
تجسد فى هذا البدن الرائق المتسق ، المشع بهاء ورونقا ؟ .. إنها كعهدها
فى فرحة غامرة . تمسح على رؤوس الأطفال وتزيل عنها الأوساخ وتأخذ
بأيديهم إذ يتقافزون فوق أكوام القاذورات ومياه الطفح . تعالج جروحهم
وتظهر ثآليلهم وتجبر الكسور والخواطر .. تُسرى عن المتزاحمات حول
حنفية المياه وتساعدهن على حمل الصفائح . تحمل عن العجائز
مشتراوتهن ، وتقضى للكهول حوائجهم ، إنها تكاد تضى ظلام الحارة
بحضورها ، والرجال كل الرجال يُغضون من أبصارهم إذ يرونها ثمة
موسيقى سماوية تتجاوب بين البيوت المتصدعة وتلف هذه الكوكبة من
ذوى الأسمال المشربئين بأعناقهم باتجاه الهالة التى تحيط بها . أما ترى ؟
.. لقد هدأت الأتربة وضاعت رائحة العطن ، وتعطر الجو بذلك الأريج
الجميل خفى المصدر . هاهم يتلاحمون فى ألفة ويمشون خلفها خفافاً
أصفياء ، يقتربون من حدود الحارة ولا يجروون على التقدم ، لعلمهم أنها
ستقف فوق ذلك الكوم من الحجارة ، حيث نفايات المدينة .. هناك .. فلا
يقابلها سوى الصحراء والجبل وشجيرات الصبار . ستلوح لهم فيلوحون
لها ، وإن هى إلا ومضة ثم تنطلق إلى أعلى وتذوب بين النجوم ، وإذ
يشرثون بأعناقهم ويشخصون بأبصارهم ، يتمنون صادقين أن تعود إليهم
فى الصباح ، كعادتها معهم .

إمرأة بذيل

جاء القطار ولفظها . سوداء فحلة . لها أنف أفطس وشفتان غليظتان ، صدرها ثقيل وعجيزتها عريضة . هامت في الشوراع فتلقفها تاجر . قال : " الدنيا شتا وهذه الجائعة سوداء .. أطعمها وأدفئ بها فراشى فترم عظمى وتمص منى الرطوبة " .

في الصباح رماها وأغلق الباب .

في مجلس التجار قال : " فتحتُ لها الحمام لتنظيف نفسها ، وإذا تخلع ثوبها ولباسها الداخلى رأيتُ ما لم أصدقه " .

سألوه : " ماذا رأيت ؟ " . قال : " كان لها ذيل " . هتفوا : " ذيل ؟ ! .. امرأة بذيل ؟ ! " . قال : " نعم .. امرأة بذيل .. ذيل ملفوف أملس وله ذؤابة من شعر " .

قال المدرس : " هذه امرأة مسكينة .. أخذها تنظف لى البيت وترتب كراريس الأولاد .. تطبخ لى وأؤاكلها ، وفى الليل أدفن فيها غُلمتى واستريح " .

رآه واحد من مجلس التجار فأشار له أن اتركها وتعال . استمهلها أمام مدخل العمارة وذهب يستطلع ما يريد . قال له التاجر : " احذر .. زميلنا أكد أن لهذه السوداء ذيلًا وحافرين " . قفز قلب المدرس إلى حلقه ففص . نظر إلى فحولتها إذ تسد المدخل وخايلته تلك الشيات فوق رذفيها وتنهد :

"ياہ .. ياله من ذيل طويل " ثم أدار ظهره ومشى إلى حيث اختفى .

فى الفصل حكى لتلاميذه عن تلك المخلوقة السوداء التى كادت تغويه ، لولا أن حماه الله وقبض له من أخبره بأمر ذيلها وحافريها والقرنين اللذين تخفيهما تحت قرطتها .

قال الشيخ : " هذه المرأة لا عائل لها . فحولتها قد تغوى من فى صدره نزع ، وجوعها قد يقودها إلى الرذيلة .. أخذها تفرش الحصير فى مصلى النساء ، وتقوم عليه عناية وحراسة ، فذلك أظهر وأقوم " .

رآه أحد مريديه يهم بمخاطبتها فهتف به : " أيا شيخ " . جاءه الشيخ فحكى له عن ابنه عن ربيب له عن أساذه أنه قال : " رأيت فى شوارع المدينة امرأة سوداء فحلة ، لها أنف أفطس وشفتان غليظتان صدرها ثقيل وعجيزتها عريضة ، لكنها تخفى ذيل خنزير وساقى عنزة وقرنى ثور " .

تفل الشيخ وعذبل وسحب مريده واحتميا بالمسجد ، صاح فى مرتاديه : " الشيطان يعربد فى شوارعنا .. حل فى جسد امرأة سوداء فحلة فاحذروها ، لأنكم إن تحذروها تحذروه " .

قال الضابط لعسكر الأورطة : " الهمة يا أشاوس .. الشيخ يستهزئ بنا . شواربكم اقتلوها . صدوركم اتفخوها . إن قلت امجموا فاهجموا .. وإن قلت اضرِبوا فاضرِبوا ، لا تخافوا ، فما الشيطان إلا مخلوق مثلكم . هيا .. احملوا خيانتكم واتبعونى " .

تحلقها رهطٌ كثيف من الناس ، وتداخلت الآيات المنجيات برجمات الحصى . مرتجفاً أشار الضابط ، فألقيت أكثر من خيَّة . مغمض العينين

هتف " شدوا " بأصابع مرتعشة شدوا . نفثة واحدة ويحترق الجميع . هذا هو المؤكد . لكن الخيأت ضاقت . أطبقت على الرقبة والصدر والوسط . اختليج الضابط وزارة الأسد الهصور : " اهجموا " ، فانطلقت من أحدهم صيحة الاستشهاد ورمى بنفسه عليها . تشجع الآخرون وجاوبوه بالصياح والارتماء فسقطت وسقطوا فوقها وثار غبار . صرخ الضابط : ؛ انزعوا القرطة .. اسحبوا اللباس .. مزقوا الجورب " . ما أن طارت هذه الأشياء حتى تسمر الجميع . عبونهم مدسوسة فى السواد المقيد والعجيزة العارية .

تقدم الضابط والشيخ ومن ورائهما المريد والمدرس . وقفوا بين فخذيها وتبادلوا النظر ، أما التاجر فقد اختفى قبل أن ينالوه بسوء . طحن الضابط غمغمة بين أضراسه ثم صاح بأعلى صوته : " كذب التاجر "

عندئذ ، علا صفير القطار . من فورها نهضت المرأة السوداء . نفّضت نفسها . والتقطت أشياءها ، ومطاطئة الرأس اتجهت صوب المحطة ، وصعدت إلى القطار ، فيما هبطت من نفس العربة امرأة سوداء فحلة ، لها أنف أفطس وشفتان غليظتان ، صدرها ثقل وعجيزتها عريضة ، وعلى رديها تين بوضوح ثنيات الذيل الملفوف تحت ملابسها .

بـ

صوروها على هيئة عجوز شمطاء . عرّوها على الحوائط ونمطوا
جسمها ووجهها بالشعر . دسوا السجائر ومباسم الشيشة فى فمها . رسمها
المراهقون على أبواب دورات المياه بئدى امرأة وعضو رجل . أغروا بها
الأطفال ، وصنع الكهول على هيئتها عرائس للخز بالإبر والحرق بالنار .
وهى لا تفعل أكثر من هز كتفيها . ترفع رأسها وتمشى غير مبالية ، قد تدفع
أحدهم ، وقد تركله أو تشتمه . لم يعد أحد من أهلها يجرؤ على المشى
معهما بعدما جعلها المشايخ مادة لخطبهم . تنادوا عبر المنابر : " احذروا
هذه المرأة، إنها تؤلب علينا نساءنا " . قالت : " ولو .. " وصلتها خطابات
تهديد . اعترضها المتشددون بالممدى والسكاكين ، خافت لكنها واصلت .
قالت الشرطة : " أنت تحت حمايتنا سنقبض على هؤلاء المهووسين من
خلالك " . إلا أن الرصاصات بدأت تنقر حوائط الأبنية التى تمر عليها ،
ولا حقتها قنابل بدائية وأخرى مسروقة من الجيش . سقط أبرياء وامتلات
السجون . قالت الصحف : " لم يبق سوى الهاون والآربى جى ومدافع
الميدان " . لما نجت من الدمار الذى أصاب بيتها ، واجهتها الشرطة :
" فعلنا غاية ما نستطيع .. تراجعى تهذا الأمور " . لكنها قالت : " أبداً " . وما
تزال البلد تشقى بالحركة وبالدمار ، بينما انزوت هى فى الغرفة التى
وضعوها فيها قسراً ، لا تقابل أحداً ولا يكلمها أحد . وبدأت شعيرات
خضراء تنبت فى ذقنها وفوق شفتيها .

البنـت فى الثوب الأحمر

البنـت التى تَخُبُّ فى الثوب الأحمر وأيام المراهقة الأولى، وتجرى من كلمات أبناء الجيران ، وتلملم فتحة صدرها إذا حادثت البقال أو العلاف أو المكوجى ، وتقف الشباك فى وجه التلميذ الذى يصفر لها من العمارة المقابلة، وتسحب طرف ثوبها إلى ما بعد ركبتيها إذا ما دعاها أبواها للجلوس مع الضيوف . إنها البنـت التى تقف أمام المرأة وتنظر إلى وجهها من هذه الناحية ، ثم من هذه الناحية ، تنكش شعرها ثم تعيده فورمة كما كان ، أو ترسله إلى كتفها ، أو تربطه بشريط ، هذه البنـت التى تحتضن حقيبتها ، وتتمخطر فى غدوها ورواحها من وإلى المدرسة، وبالكاد بدأت تبحث عن القمر فوق السطوح ، هى هى ذات البنـت التى اقتحمت حشود المظاهرة وهوت فى الفراغ الفاصل بين بنادق الجند والوجوه الغاضبة لمجرد أنها أرادت العودة إلى بيتها الذى استند الضباط إلى جدرانـه ، حتى لا يتهمها أبواها بالتلكؤ واللعب مع الصبيان .

رياح

كالرياح العاصفة تأتيهن فتدوم المكان . تَقْلِب ما استقر فيه وتمضي ،
وهن منكسرات وذاهلات عن أمور كثيرة . يستمعن إليها إذ تزوم وتسب
وتشير إلى مواطن الانكسار فيهن ، في كل مرة يتمنين ألا تتركهن وتمضي ،
لكنها دائماً تُلقى بحصياتها وتمضي .. يثقن الآن أن شيئاً فيها لا ينكسر ،
وأن عينيها حين ترفعهما ترتفعان ، وحين تثبتهما تثبتان ، وأنها تشير باتجاه
الرمال فتطير ، وباتجاه البحر فيفيض ، وباتجاه الرجال فيركعون ويزحفون .
فكرن في القيود التي تشدهن إلى قضبان الأسيرة وأبواب المطابخ ، وقلن :
" ليست ثقيلة هذه القيود ، وليست منيعة هاتيك القضبان " . هذه المرة
رأينها فنزعن عنهن القيود وحطمن القضبان وتحولن إلى رياح عواصف ،
ورُحن يدومن معها في أماكن أخرى ، يقلبن ما استقر ويمضين .

فأرقت زوجها لأنها أحبت الشعر.
وتشردت من كل عمل لأنها في كل مرة تكتشفهم .
وأصابها الهزال لأنها لم تأكل من عرق فخذيها .
وجزّت رأسها لأنها مشيت مع الذين جاهرُوا بقولة " لا " .

التهاب

اقترِبْ ، فالليل ثقيل ، والشبايبك مغلقة ، والنساء من فرط خوفهن
شددن الرجال والأولاد ولدن بأسرتهن. أقرأ فى عينيك لوعة الحرمان
فاقترِبْ وتعال تقطع الطرقات الخالية إلا من الحجارة ونثار زجاج
الضاترينات. لا تلمس تنورتى فيلحظك ذلك الجندى المُسَهَّد على قارعة
الطريق هناك ، كأن رأسه مُرْكَب على زنبرك يستند إلى العמוד الخرسانى
وينظر فى الاتجاهين .

إهدأ ، فقط دعنى المس كفك ، لمس أنت أيضا كفى ، وسر إلى
جوارى تحت المصاييح المهشمة ، ووسط هشيم النهار. ارفع رأسك أو
اخفضها ، فسيان لدى أى مراقب يلحظنا الآن رفعك لها أو تنكيسك إياها
.. فأنت تنظر للسماء تستمطرها الإجابات أو أنت تبحث فى الركام أسفل
قدميك عما عساه ينفع . من يجرؤ على الظن الآن أننا نتخالس المتعة ؟ ..

كل شئ هادئ والأدخنة الحارقة للجفون تلاشت فى هذا الشارع . ثمة
عيون تنظر إلينا ، أشعر بوخزاتها فوق جسمى . انظر . خيالاتهم تتماوج
من وراء خصائص الشبايبك . ربما اتهمونا بالجنون . أيا كانت ظنونهم
تعال نمشى تحت البواكى لئلا يُسحلقوا فينا ، فأنت بلهفتك تكشفنا . لا
تتعجل واهبط بكفك إلى كفى . لا بأس من أن نتضام بالأصابع ، قد تكون
أصابعى باردة الآن لكنها ستلهبك بعد قليل . تعال نؤرجحها . لنجر بنزق
تمهل فلجرينا صوت .

لا تلتصق بى . فقط ضع كفك فى كفى ودعنا نمشى . أنظر إلى تلك القطة التى تمشى عند آخر الرصيف ، أى شئ تجر ؟ .. قلتُ لك اخفض ذراعك . أنظر ، هاهى رصاصة خَزَّتْ عين المطرب المعلق على الحائط وأسالت التراب الأحمر فوق خده الذى طالما خايلنى وخايل البنات . من الأفضل أن نلوذ بهذه العطفة ونمشى بين الجدران المثقلة بالشعارات . هذه العطفة ستسلمنا إلى الشارع العريض . إن عبرناه أصبحنا أمام أول بيوت حينا . ثلاثة أزقة من هناك ونصبح فى بيتى . فى بيتى سأتركك تفعل ما تشاء ، بل سأخرج منك أنا ما أشاء ، فاصبر . انصت . هذه أصوات أحذيتهم . إنها مشيتهم المنتظمة . أعرفها من ألف مشية ، لا تنظر خلفك ، وإلا استرابوا فينا ، فلنمش كما نحن . لا تضطرب . هاهى أصوات أحذيتهم تختفى . بالتأكيد ابتلعتهم التقاطعات الكثيرة التى خلفنا . لا .. لا نرطم الكيزان والأخشاب فليس هذا وقت الفرح ، هذا خطأ ، فقد اقتربنا من الشارع العريض ، فقط هبى نفسك .

ماذا جرى للشارع ؟ .. لأول مرة أراه معتماً إلى هذا الحد . أنا أحب العتمة ، لكن ليس بهذا الشكل ، ليس إلى هذه الدرجة . المصابيح محطمة وهم على ما يبدو قد سحبوا الكهرباء . زورى يحرقنى وعيناي أيضا . كانوا هنا بالتأكيد . دقق . أليست عرباتهم تلك المتقاطرة فى الناحية الأخرى ؟ نعم .. إنهم يندفسون فيها رؤوسا وأجساداً ، فتوقف حتى يغوروا . تبدو خائفاً . أصابعك توقفت عن العبث ، لا عليك . أنا أيضا خائفة . من لا يعرف طعم الخوف ، لا يعرف معنى الشجاعة ، سأنسيك همومك عندما نصل . آه ، عرفت ، القطة كانت تجر رباطاً مدمماً . نعم ، ما كانت تجره هو رباط مدمم . أنا متأكدة .

اسمعنى . هات هذا الكيس البلاستيكي المرمى الى جوارك قبل أن
تطيره الريح ، ساريك كيف يمكن أن نمر دون أن نثير ريبهم ، لو خلعت
السويترو ودسسته فى الكيس هكذا فإن الحيلة ستتطلبى عليهم . خذ . احمله
ودعنى أتعلق بلراعك وهيا بنا ، سيظنون أننا كنا نتسوق . لاتفرز كوعك
فى ثديي وانظر كيف يلقون بهم فى العربات ، ما أكثر المكدمين
والمهشمين . لا تُظهر اهتمامك . لا تظهر ألك وهيا . هانحن على قيد
خطوات من بيتى ، فهات الكيس ودعنى اسبقك . امش خلفى باحتشام ،
ثلاثة أزقة وننتهى مما نحن فيه .

لؤلؤ المأقي تمشمه أقدام القساة

- | | |
|------------|-------------|
| ١- قلب | ٥- أم السعد |
| ٢- قرار | ٦- ضحكك |
| ٣- دم تخين | ٧- خيبة |
| ٤- حمق | |

قلب

رفعت رأسها ونظرت إليه فتوقفت . إلى جوار الباب تسمر . منكس الرأس مهزوماً . احتوته بعينيها ، من شعر رأسه حتى أظافر قدميه ، وهو في مكانه لا يريم ، عصبت رأسها وسألته عما جاء به ، وما إذا كانت اللبوة التي خطفته قد شيعت منه ، وأشارت إلى كومة الدواء فوق الكومودينو وسألته عما إذا كان يتذكر أن له أما تموت في اليوم والليلة ألف مرة . تقدم وانحنى على كفها فسحبته ليثم الهواء ، ذكّرته بما كان عندما طلبه أبوه وهو يموت فلم يحضر ، وبالمنديل الذي صرّته على معاشه وتحويشة العمر فسرقه ، انكفاً على قدميها فتراجعت بجسمها كله حتى مسند الكنية . قالت أنها تعرف عنه كل شيء ، وتعرف أنه أصبح سكيراً ولصاً وشامماً ، تنبأت له بأن مصيره سيكون سيرسجياً أو قواداً ، وأنه سيموت ميتة الكلاب ، بلا أنيس أو ونيس . صرخ ملتاعاً : " سامحيني يا أمه " ، فزمت الشال حول رقبتها واتجهت صوب القبلة .. " قلبي غضبان عليك ليوم القيامة " . ثم رفعت من قميصه " قُمْ .. فِزْ .. الأكل هناك في المطبخ ، والبيجامة وراء الباب " ، فقام وهو يُقر بأنها صاحبة أطيب قلب في الوجود .

قرار

ما عادت ترغب فى رؤية وجهها الذى نقرته سوسة الزمن فهرم وشاخ . كل ما حولنا أيضا شاخ . المرأة سُرختْ ، ومصاريع النوافذ صدمتْ ، والستائر والسجاجيد أكلتها العتة ، حتى جرس الباب أصابه الخرس ، فلم بعد أحد يفكر فى زيارتها . والأولاد لا يأتون إلا للاعتذار ، قد يقبلونها وقد لا يُقبلون ، لكنهم فى كل مرة يهرولون إلى بيوتهم .. هناك حيث ضجيج الصغار ودفء الصلابة . قالتْ : سأنتحر ، واستعرضت طرق الانتحار حسبما أسعفتها ذاكرتها . كلها طرق بشعة ومؤلمة . كيف يجرؤون؟ .. هؤلاء المتحرون كيف تهون عليهم أنفسهم ؟ .. هكذا تمتمت لنفسها فى المرأة . تأملتْ شفيتها المشققتين ثم غادرتها وجلستْ فى مواجهة الباب ، فلربما جاء أحد أولادها وضغط الجرس .

دم نخسين

(١)

هى فى المستشفى ، وهو ملقى إلى جوارها . تفصل بينهما الخراطيم
والمعاطف وأجهزة القياس والعربة المكدسة بالمشارط والملاقط .
استسلمت لوخزة الإبرة، ورأت دمها يسيل نخيناً فى الخرطوم ويصل إليه .
فى أنفه دُس خرطوم ، ومن جنبه خرج خرطوم ، وفى ذراعيه علقت
خراطيم ، وعلى صدره ثبتت أسلاك لا حصر لها . كتمت كل ما فى صدرها
وأغلقت منافذ دموعها لم تفعل أكثر من أنها أغمضت عينيها عليه وتنهدت
بعمق

(٢)

قالت صور الأشعة الكلى متهتكة ، وقال ذوو المعاطف نحتاج لمتبرع .
بهذوء وقعت لهم . وإذا تخرج به متكئاً على كتفيها نبهوا . أكل خاص
وشرب خاص وهواء خاص . الانتكاسات تقتله ، والإهمال يميته .

(٣)

هو الآن بمضى فى حياته ، وهى ملقبة فى فراشها ، رائحة النوشادر
تملأ المكان والقروح تلهب ظهرها . تأتيها الجارات فيفتحن النوافذ .
يقلبنها ويغسلن لها . يلملن الخرق الملوثة من تحتها ويدسسن اللقيمات
المهروسة فى فمها . يعطينها الدواء الذى اشتريته لها . يسوين الأغذية
ويكنسن التراب ، وهى أبداً قابضة على ألبوم صوره ، وقد يحدث أن تفتحه
وتقول هذا الولد ابنى .

حمق

ليست سوى أم . لها وجه متعب ومعها قليل من الذهب . يلتف حولها خمسة من الأولاد . يحاصرونها في البيت . فوق رأسها يقفون . في مواجهتها يجلسون . عيونهم على الذهب في رسغيها وعلى صدرها . تفهمهم من حركاتهم إذ يتكاسلون أو يندفعون ، من تهدج أصواتهم وهم يتهامسون ، فيها رعشات تكشفهم ، يتعائبون فترتفع أصواتهم ، تلتفت إليهم فيصمتون . يتوددون إليها ولا ينسون تحسس الأساور ، في غفلة منهم خرجت ، وحيدة تمشي الآن بين البيوت . ترتاد الأسواق المفتوحة والمغلقة . ما أكثر أسواق مدينة نصف المليون . نصف مليون من الحمقى القساة . ما أثقل خطوها . بشجاعة وصرامة تمشي . التواءات المفاصل تؤرجحها . تخلع كعبيها خلعاً من بلاط الرصيف . تحاذر السقوط ولا تظهر ضعفها . لا تفعل أكثر من أن تمشي . لا تعرف لها وجهة بعينها باللحمقى . ألا يوجد في البلد كلها واحد ، واحد فقط ، مجرد واحد ، يجرؤ على سرقة هذا الذهب ؟ .. يسرقة ويريحها من عيون الخمسة الذين يحصون عليها أنفاسها . ياه .. ليست سوى أم .. مجرد أم في مدينة بها نصف مليون أحمق .. لماذا يا رب كلهم من الحمقى .. لماذا ؟

أم السعد

قد تخوض " أم السعد " فى الوحل أو تستحم بالمطر . مع العواصف نراها ، وفى وقدة الحر لا نفتقدها . مهلهلة الشياىب هذا صحيح . حافية القدمين هذا حقيقى . أيا ما كان الأمر وكيفما كان فهى موجودة . هذا يكفى . يكفىنا . نعطىها السريس فتأخذه ، الجعضيض فلا تأنف منه ، يعجبنا هذا فيها فنمنحها الأرز والطحين ، وقد نمن عليها بهبر اللحم ، كل ما نسمح به تأخذه ، تأخذه وتمضى .

فى بيت بلا سقف تعيش ، تنفخ فى الكانون الذى لا نعرف من أين جاءها وتعمل الشاى ، ربما سلقت الأرز أو خبزت العجين أو شوت ما تكون قد أعطيناها إياه من سمك أو حبات بطاطا ، لكنها لا تمل فى أى وقت من اشعال الكانون لعمل الشاى ، تشربه من الفنجال مقشوف الشفة أو من الكوز المهبب مباشرة ، تُعيد غلى التفلى . تمصه وتضعه على أورام عينيها وقدميها . إذا ما شحت المحاصيل وأصبح الحصول على حفنة شعير أو كوز ذرة ، مجرد كوز ذرة ، أمراً مستحيلاً ، تلف هلاهيلها على جسمها وتقبع بجوار الكانون وتقول " وإيه يعنى ؟ " ، لكنها لا تكل من التطواف علينا ، وتسألنا جهاراً نهاراً ، مزركة الوجه محمرة العينين أن نعطىها تلقمة شاى " ومش مهم السكر " .

الأمر الآن مختلف . كل شئ الآن مختلف ، فالعيال ركبوا

الموتوسيكلات وفحصوا الكتاكيت وكسروا ساقى أم السعد. هذه حقيقة. وماذا يمكن أن يحدث وقد أصبح لدينا ميكانيكى يؤجرها، وجنيهاات ندفعها من جيوبنا لتطير الريش وإفزع البقر والجاموس والماعز وأم السعد.

أخذنا الشيخ غالب المجبرانى وذهبنا إليها . أعطيناها الأرز والطحين وهبر اللحم ، وضعنا أمامها تلقيمات الشاى وقوالب السكر . بأيدينا أشعلنا الكانون وغسلنا الفنجال المشقوق والكوز المهبب وكنت نسوتنا البيت الذى بلا سقف ، إلا أننا فى الوقت الذى عرفنا فيه أن كسورها أكبر من جباائر الشيخ غالب اكتشفنا أن منظرها بشع ومرعب . لنكن صادقين ، اختلاط روائح العرق والصنة والعفونة التى تحيط بها هو الذى روعنا ، تقيأنا وطلبنا من النسوان تنظيفها إلا أنهن لم يقدرن ، واحدة منهن لم تقدر ، فاكشفنا بتكليف العيال بتوصيل الأرز والطحين والهبر . ولأن عيالنا مهوسون بالميكانيكى وهدير موتوسيكلاته ، فقد دأبوا على التملص منا ، ومرة فأخرى اعتدنا أن يأتينا صوتها الزاعق عبر البيت مهدم السقف " تلقيمة شاى يا أولاد الكلب " . ولم نكن لنجرؤ على توبيخ العيال .

ضحك

وإذ تتضحك هي وابتنها حول توافه الأمور، لاحت منها نظرة إلى المرأة، فمالت برأسها ونظرت باهتمام. مدت يدها إلى تعصية رأسها وأخرجت خصلتين أو ثلاث .. " ياه كل ده بياض وهيش ؟ ". توقفت ابتنها عن الضحك وراقبتها وهي تتحسس خديها المهدلين وكرمشات عينيها . لم ترها من قبل تفعل هذا ، فكرت : " بأى شئ يمكن أن أشغلها ؟ .. بأى حيلة يمكن أن أبعداها عن المرأة ؟ " .. لكنها فاجأتها بأن سحبت الفوطة وهولت باتجاه الحمام .

لم تغب . ربع الساعة فقط . الربع أو أقل قليلاً ، بعدها خرجت . إلى غرفتها جرت ، وأمام الدولاب وقفت . استدعت ابتنها التي كانت قد لحقت بها ، واستندت إلى الباب ترمقها ، سألتها أى الفساتين أجمل . فرحت البنت وزغردت ، مشطت لها شعرها ووضعت فيه فيونكة . جرت إلى غرفتها وعادت باصبع الروج ، بينما انشت هي إلى درجها وأخرجت الجورب المزركش بتاع زمان . " تجتنى يا أمى .. تهبلى " ، " يعنى مخ أبوك حايئله حس ؟ " ، " ودى فيها كلام ؟ .. دانت قمر أربعنا شر " .

جاء الأب ، فى البداية جفل وتراجع ، ثم بش ورحب ، وبأقصى ما يملكه من لباقة أشار إلى ابنته أن تنادى أمها لتقابل " الست " . خفت البنت على نفسها واحتمت بالباب المجاور وراحت تضحك . أما هي فقد ظلت

خشخشة الضحك تصهلل فى صدرها ونطلب المزيـد. قال " أهلاً"، وقال " شرفت " ، وسأل : " حضرتك مين ؟ " . ولما لم تتمالك نفسها ، وفجراً عفريت الضحك صدرها وحنجرتها ونطط ابنتها ورماما على قفاها فراحت تخط على رجليها وصدرها وتضحك ، عرف أنها هى . هى التى عاش معها أربعين عاماً أو يزيد ، فاندفع نحوها وأشبعها لطمأ وركلاً ، وجاء بدورق ماء وصبه فوق رأسها.

خبيبة

مثل برغوث البحر أمى . ضئيلة مقوسة الظهر ولها شوارب . الشعر يهبط من فوديبها وينام فوق شفتيها . يطل من أذنيها وينفر من فتحتى أنفها . حتى سلاميات أصابعها بها شعر ، يزرق لحمها فى الشتاء ويحمر فى الصيف . كيف حملتُ بى ؟ .. كيف أرضعتنى ؟ .. سؤلان توقفتُ عن طرحهما من زمن ، إذا فكرتُ فيها واستعدت ضآلة جسمها أخذتنى زهوة الحياة ، فأنسى حزنى ، وأفتح صدرى ، وأواجه ما ينبغى علىّ مواجهته . مشكلتى أن فراغات شاسعة تفصل بين وبين شواطئها ، ولا أعرف لماذا لم أحاول طوال السنوات الماضية توجيه مجاديفى إلى مرفأها . لا أعرف هل هناك خيبة أكثر من هذا ؟

ظلال تتهدد على حواف البياض

- | | |
|-----------|-------------------------|
| ١- القطيع | ٥- ' وإيه الضرر يعني ؟' |
| ٢- مسامرة | ٦- أيتها البنت الجميلة: |
| ٣- تأجيل | لماذا طفوك هكذا ؟ |
| ٤- تعاون | ٧- احتضار |

القطيع

ترقبهن

سينبشقن الآن من وراء تلك البناية . هناك . تلك الواقعة فى المنطقة الجرداء ، بين شجيرات الخروج ومساحات النجيل اليابس ، نعم . البناية كثيرة النوافذ ، قليلة الأبواب ، سينبشقن ثم يتكورن ويتجمعن كغيمات الأعاصير ، هاهن ، انظر ، إنهن يمشين حافيات ، منكوشات الشعر ، متزاحمات . باتجاهنا يمشين فقف مكانك . لا تُظهر لهن علامات الخوف ولا تفرش هذه الابتسامة وتمالك . قد ترى منابت الائداء أو هالات الحلمات أو سُمرة وبياض الأفخاذ ، فلا تلهث أو تُمن نفسك بأشباع رغبات لن تتحقق . انظر إلى تلك التى تصرخ فيهن ، تلك التى تُحرك يديها فى كل اتجاه . إنها الوحيدة التى يمكن التفاهم معها ، سيقتربن الآن فتماسك واقبض بقوة على أوراقك . كن لا مبالياً تسلم . سترى انفعالات الوجوه والأعين الداهلة . نعم . ستدميك - وقد تصيبك بالقرف - الخدوش والندوب وخيوط المخاط المتناثرة على صفحات الخدود ، وقلبك سينفطر بسبب الكدمات والجروح المقيحة عند الأكتاف والأرساغ وسمانات الأرجل ، لكن لا تهتز . ستسمع أصوات المراجل إذ تغلى ، وقد تسمع غنججات أو شهقات أو فهقهات فلا تتوتر ، قد تُعرض عليك آباط ريانة وأخرى نتنة ، ربما تُشق لك قمصان عن نهود بيضاء كاللبن أو سمراء

كالشيكولاته فتماسك . قد تُشم أو تُصفع أو تُلقى بحصاة فلا تفعل شيئاً
وقف حتى يعبرن . إنهن ذاهبات إلى ذلك المبنى . ذلك الوطئ ذى الباب
الواحد حيث شجيرات الكافور . التى لم تتسامق بعد ، تسوقهن تلك التى
تصرخ دوماً وتعبر بهن النافورة المهيمة وتقف بهن أمام الباب . هناك
سيبادلون الغمز واللمز واللكز ، ويكثرون من هرش أقفيتهن قبل أن يغيبهن
الباب ، الواحدة منهن إثر الأخرى .. زُرافات منهن سيهربن ويجربن
راجعات القهقري .. قد يسقطن فى النافورة وقد يتفادينها ، فتصرخ فيهن
تلك المرأة وتعيدهن صاغرات طائعات ، ولا يفاجئك ضراط المتغوطات
أمام الباب ، فالمرأة المسيطرة سترفعهن من أقفيتهن وتأمرن بحمل
الخراء ودفنه أسفل شجيرات الكافور . لحظتها ستقبض بكفيك على
أمعائك ولن تشعر بأى متعة وأنت ترى مؤخراتهن العارية وقد اختلطت
بالأصفر والبنى وزرقة الكدمات المتورمة . ربما أفلحت فى السيطرة على
نفسك ، وربما أفرغت ما فى بطنك ، وأيا ما حدث احذر أن يشعرن بأنك
خائف أو متوجس أو مستهزئ سيهجمن عليك ساعتها ويمزقن ملابسك
ويطيرن أوراقك ويتصارعن على أطرافك ، وقد ترى كفيك وقد دُسا رغماً
عنك بين فخذين ، ورأسك مهصوراً بين عدة سواعد وزنود كنت تظنها
بضرة ورخصة ، بينما تأخذ الأظافر فى خمش وجهك فيما تجاهد إحداهن
لأن تدس إصبعين فى عينيك ، متحشرجاً ستنادى على المرأة الصارخة
لكنها لن تأتيك فانتبه ، هامن يقتربن ، وإن هى إلا لحظات ويُحطن بنا
ونصبح فى وسطهن بالتمام فامسك بى واثبت .

مسامرة

دائما ما ينبعث ذلك الصوت المكتوم من خلف ذلك الباب ، نفس الرنة. نفس البحة نفس الحشرجة . لا تبال بأولئك المتناثرين فى الممر ، فلن يشعروا بنا ، ادفع الباب وانظر ، ها هى منكفئة على وجهها. كفها تقبضان على مسند الفراش تعض بأسنانها على الوسادة. تلوك نتف القطن . تلفظها فتطير فى فراغ الغرفة ، وتعلق بشعرها المهوش ، من هنا يمكنك أن ترى خديها النحيلين وقد تقاطعت فوقهما خيوط زرقاء هائلة وذراعيها حيث تنفر العروق وتتعرج وأصابعها إذ تتشنج على حديد المسند كم هى شاحبة. مثورة وضعيفة. ها هى ذى ترفع عينيها إلينا. انظر . إن ملامحها ترق ، والخيوط الزرقاء تضيق ، وعينيها تأخذان فى الاتساع ، إن هى إلا لحظات حتى يشرق وجهها ، وتتوقف الحشرجات تماما. تنفض شعرها وتسوى جلبابها وتهبط حافية إلى الأرض. تمد ذراعيها إلينا. تفتحهما ، لا تخف ، افتح لها ذراعيك وراقصها ستجدها كالنسيم بين يديك ، ستسمع أرق موسيقى تخرج من بين شفثيها، وتخاصر أجمل بدن ، فراقصها ثم أسلمها إلى . كم هى ودبعة ورشيقة ، تنسم ذلك الأريج الذى يعبق جو الغرفة ، ها هى تتحول إلى فراشة مفعمة حيوية وجمالا . تدور حوالينا وتلف حول نفسها وترف بجناحيها وتمايل فى كل ناحية حذار لئلا تفلت منا وتحلق فوق ذلك الضوء المنسكب من تلك الكوة العالية فتخرج وتضيق ، مل عينيك من رقتها ومن شعرها إذ يتطاير ويلتف بجيدها ويندس

بين منبتى ثدييها ، هاهو الدفء يسرى فى الغرفة ، واثتلاق الضوء فى
عينيهما يأسرنا فندور بها ومعها سابحين فى فلك وجهها الصبوح ، والوهج
المشع من كل ثنية من جسدها ، يالها من لحظات أثيرية ، ويالها من ملاك .
أعلم أن نفسك تهفو للالتصاق بها والبقاء معها والدوبان فيها . نفسي
تحدثنى بهذا أيضاً فهل أجزى منه ؟ ... لو توافق .. فقط توافق . لكن انتبه ،
فهاهم قادمون ، اسمع جلبتهم فوق البلاطات المهشمة . سيأتون
بمعاطفهم وعربتهم وأدواتهم المكهربة فاتركها سريعاً وهيا بنا نهرب من
الباب الموارب ، فى الغد سنأتيها ، فى نفس هذه الساعة من الليل سيدلنا
إليها نفس الصوت المكتوم المتسرب من خلف الباب ووجوه المتناثرين
فى الممر .

تاجيل

على امتداد الحجرة الواسعة تراها سائرة في كل اتجاه. تحار وتجد نفسك مضطراً لأن تقف بالباب ولا تدخل . هاهى ذى تسير بمحاذاة الحائط المواجه . خطواتها أقل سرعة وساعداها أقل تطويحا . تستدير فجأة تجاه الحائط وتأخذ في ضربه ، لحظات وتستكين ، تمسح أثر ضرباتها ثم تلتصق به وتفرد ساعديها على اتساعهما ، ها أنتذا تلجئك الدهشة وأنت تراها تُريح أحد خديها إلى الحائط ، وتلمح - وأنت من مكنك استدارة خدها الذى فى مواجهتك ، وقد انسكب عليه الضوء فتكتشف أنه فى نضارة خوخه ناضجة . ثمّة ما يُفزعك فى الطريقة التى تغمض بها الجفن الذى إن فتحت لرائتك فى وقفك المخزية ، لكنها لا تفتحه ، إنما تُشدّد من التصاقها بالحائط وتند عنها تأوهات وغنجات تدفعك لأن تنسحب بهدوء مغلقاً الباب ومؤجلاً موعد الحقنة إلى وقتٍ تهذا فيه .

تعاون

حين رآته هكذا مرمياً على الفراش وملفوفاً بكل هذه الضمادات والجباثر ارتمت عليه واحتضنته ، قبضت على رأسه وضمتها إلى صدرها . مسحت على الشعيرات النافرة من الأربطة وجاهدت دموعها وهي تهدده وتناغيه وتدعو له بطول البقاء وألا يُحرم أبناؤه منه . لما اقتحمت الغرفة تلك الرائحة ، توقفت عن الهددة ، وتركت الرأس الملفوفة ، ونظرت باتجاه الباب مستطلعة . امرأة أخرى . جزعة دامعة . سألتها وهي على السرير ما تزال :

- من أنت ؟

- زوجته .

تدومت الرائحة داخل أنفها . أحست بها زوابع تعصف برئيتها . إنها تلك الرائحة التي كانت تقتحم غرفتها حينما يدخل عليها ، فتؤرقها وتضنيها ، التفت إلى كتلة الضمادات والجباثر أسفل منها ، لالتفاتتها حفيف وصرير :

- صحيح ؟

لم يُجب . هتفت :

- رد .

لكنه لم يرد فهجمت عليه وراحت تضربه في كل موضع ، فيما أمسكت الأخرى بالمقعد وأخذت تهبط به على رأسه وبطنه وساقيه .

”إيه الضرر يعنى؟“

اجتمع الثلاثة فوق وجهها . الجديري والنمش وحَبّ الشباب . ووراء شفتيها المتورمتين تراكبت أسنانها وتشرشرت . داخل جلبابها صدرٌ هزيل وردفان ضامران ، أسفل منه تتجاوز بقع ثآليل فوق الجزء الظاهر من ساقين هما والخشب سواء الخرقه فى يدها معكوكة بالبصاق المدمم ، ورأسها على الوسادة التى أكلها العرق وطول الرقاد .

نظرت إلى الزجاجة المدفوعة إليها :

- جاية لى سم يا خالة ؟

- يا عبيطة .. أنا كاتبة عليها (سم) علشان العيال متشربوش

- ما يشربوه ..

- يشربوه إزاي ؟ .. المية اللى فيها مسحورة مخصوص علسانك .

- ابعديها والنبي يا خالة .

- طاوعينى .. المية دى هى اللى حاترجع لك جمالك .

بوهن مدتُ يدها ، مدتها ونظرت لخالتها . خالتها المنشغلة بتلاوة الرقية التى حفظتها من كثرة ترديدها ، سعلت وبصقت فى الخرقه ، فإذا بالزجاجة تنتقل من يد الخالة إلى يدها ، نظرت إلى الورقة الملصقة عليها وكلمة السم المكتوبة بخط اليد ، خط خالتها هو . خالتها المنهمكة فى ترديد الرقية . بأصابع مقرحة أدارت الغطاء وفى ذهنها سؤال يتدوم " حتى لو كان فيها سم ، إيه الضرر يعنى ؟ " .

أيتها البنت الجميلة لماذا طفوك هكذا ؟

فوق المجرى الهادئ تطفو البنت . مزر كشة مثل حزمة من زهرات
الياسنت ، بهدوء يمضى بها الماء . حلمتها منشيتان تحت المشد، وبشرة
النهدين أديم تنعرس فيه زهرات الثوب المبتل ، تنحني أغصان الصفصاف
إذ تمر أسفل منها ، وشواشي الغاب تهتز لرفرفات العصافير الناتجة ،
وأعواد الذرة تميد إذا ما توقفت أمامها . أيتها البنت الجميلة لماذا طفوك
هكذا ؟ ... قفزات الضفادع لا ترهبك ، ولسعات الناموس لا تؤذيك .
الشمس تبرقع بالغيم خجلاً منك ، والسميكات الراحشة تحف بك
لترضيك ، وأنت فى طفوك لا تأبهين . أى يد أثيمة أسلمتك لما أنت فيه ؟
.. أية أفكار لئيمة أحاطوك بها ؟ .. كتلة من السكينة الطافية أنت ، فمرى
واستمرى فى استسلامك لمسرى الماء فى المجرى الهادئ ، وابقى طافية
.. ابقى طافية .. ولا تغوصى .

احتضار

الطفلة تحتضر . هذا ما يبين لهن بوضوح . وجهها شاحب . فيه بياض وزرقه . البنفسجى والبني يصنعان هالة ثقيلة ترتفع فوق حاجبيها وتسقط باتجاه صدغيها . شخيرها آخذ فى الخفوت وجفناها يدفان فيرتعش حجرا عينها ليظهر البياض المعكر فيهما . أما سواد التى فقد اختفى إلا قليلا . الشفة السفلى لا أثر لها . العليا هى الظاهرة . كأنها ما ولدت إلا بشفة واحدة .

قالت الطيبة : انقلنها بالسرير إلى جوار الشباك .

فى الضوء النافذ من الستارة بدا المنظر مريعاً . كأن السرير نعش . كأن الغطاء كفن .

بكت امرأة : يا كبدى ، فناحت الأخريات وأسقط فى يدى الأم . هتفت الطيبة : اسكتن .

خلصة مدت الأم أصابعها إلى خدى الطفلة ثم عادت فلمتها . تعلم أنهن سيسحبن أصابعها ويرجونها أن ترحم نفسها فسهم الله نافذ ، ولن يغير ما تفعله شيئاً . لكنها عادت ويأصبع وحيد مَسَّتْ الذقن الباردة . ضغطت عليها لعلها تنجح فى خفض شفرتها الضائعة ، وتفتح فمها . " أيها الرحيم المعجز " .. ها هو فمها يفتح . لسانها الملتصق بسقف حلقها يسقط . قطعة متنة من لحم يعلوه الفطر ، ومخاط كثير يمتط بين سقف

الحلق وبينه ، عند اللهاة تتجمع كتل بيضاء عكرة . يا ضوء الشمس
القاسى .

على همود الجسد الضئيل فإن التشنجات التى تتتابه تحرك المرفقين
وترفع الساعدين صوب الوجه المغييب . كأنها هى شحنات من كهرباء أو
لقات من زميركى ، البنفسج غزا الكفين والرسغين .

سمحن للأم بلمس كفيها ، بل رأيها وتغاضين . ثمة رعشة خفيفة
تسرى فى إبهام الكف اليسرى ، كلما تعرض لهواء مراوح اليد فى أيديهن .
حاولت إحداهن سحب الأم إلى الخارج ، إلا أنها تشبثت بالسريـر وظلت
منحنية فوق وجه الطفلة حتى كادت تلمسه بوجهها . برغمها هصرت
الكفين الباردين فانفتحت العينان ثم أسبلتا . فككن اشتباك الأكف فسقطت
بضع دموع فوق الوجه . اختلج فامتدت أياديهن بالمناديل وجففنه .
- دكتورة .

نظرت الطبيبة إلى حيث أشارت الأم . يا فوخ البنت ينخفض .
التحامات عظام الجمجمة ، تحت شعرها الذى لم تتح له فرصة النمو ،
تظهر بوضوح . ثمة نبض لكن الفجوة لا نبض فيها . أو لعله من الخفوت
بعيث لا يرى أو يحس .

بدرت من الطفلة حركة فأسرعت الطبيبة ورفعت الرأس ليندلق من
ركن تحت الشفة العلوية سائل أصفر مخضوضر . سارعت أيدى النسوة
بمسح مالم يتشربه الغطاء . صرخت الأم فاحتضتها اثنتان وحاولتا جرّها
لكنهما لم تفلحا . لفّت الطبيبة إصبعاً وأدخلته فم الطفلة ، مسحت حلقها

ثم أخرجته مقبهاً مدمماً . أقت اللفافة وما عليها من قبح ومخاط في
الحوض المزدحم بالحقن والأمبولات مهشمة الرقاب وسكبت بعض
الكولونا على كفيها .

ما صدر عن الأم ولفت أنظار العجائز كان مواءً أوشيناً من قبيله فوق
الستائر انطبعت أضواء الملهى المواجه . الليل إذن قد حل .

- ثلج .. كفاها ثلج .

صرخت أمها وكشفت عنها الغطاء وأخذت تجس أعضاءها :

- ثلج .. ثلج ..

ساقا الطفلة ارتختا ، والزرقه كست أصابع قدميها تماماً . أظافرها في
لون الحبر . أخرجت البنت صوتاً لاهو بالحشرجة أو بالصفير . الشفة
العلوية كساها البنفسج وهبطت ، فى تضخمها ، إلى حنية الذقن ، فيما ظل
ابهام الكف اليسرى يرتعش كلما حركت النسوة مراوحهن .

قامت واحدة وأشعلت عود بخور . " عذبلت ويسملت وحوقلت ،
فتدومت الغرفة بالعذبلات والبسملات والحوقلات . وإذا تعبأت الغرفة
برائحة العطر المحروق والرقى والآيات المنجيات . حركت البنت بعضاً
من أجفانها فبان البياض المعكر من عينيها ، وبان بعض من سواد النتى .
أكثر من هذا تحرك ما ظهر من بياض وسواد صوب الأم . دون أن تلفت
واحدة منهن انتباهها إلى ما فعلته البنت بعينيها ، شعرت بأن طفلتها إنما
تحاول النظر إليها ، فانحنى إليها وقبلتها ومست خدما بخدما ، فيما ظلت
العينان على حالهما ولم تنغلقا .

الفهرس

- ٩ أراجيح الضوء في الأنجم البازغة : _____
انبهار / ياسمينه / كم هن بريثات يا ربي / أختان / انفلات /
بنت وسلتان.
- ١٩ أعمار مراوغة تختي تحت قمصان البنات : _____
حنو / حمام / صورة / البراح / نقاء / الزائرة .
- ٣١ براعم الأقحوان إذ تتأود فوق المدرج : _____
تهيدة / الكوتش / عسل وكستناء / شخبطات / سترة .
- ٣٩ فراغات باتساع الشوارع والأرصعة : _____
عبور / تجاوز / في الممر / عبر بنايتين / للشقراء أغنى /
حساب / عريس / تساؤل / معاً / بعض من لدونة.
- ٥٣ نبض النار في زيد البحر : _____
القروية التي تغنى أمام البحر / امتلاء / العابرون / وجه من
ضوء وغيمة من بنفسج / العجورب كحلى والخطى واثقة / غوابة
الأزرق الفسيح / فنار / زنبقة .
- ٧١ مطور تتأوه تحت سدادات القوارير : _____
الرجل في غرفة الانتظار / غيمة ملونة / فم ملوى / شرفتان
/ قرطم / نعاسة / ماكياج / كآبة / غضوب .

- ٨٧ شمعات تنوس في مسارب السفر :
المحطة الأخيرة / انكاءة / خجل / باتجاه نفق المترو / مصر
الواسعة العريضة / سفر .
- ٩٥ القوارير إذ نهجس بالامتلاء :
دمية / أمنية / ارتجافة / عينان مفتوحتان / تكور .
- ١٠٥ لكل مخلوقات الله القصة :
بلبل / قطرة / عنزة / خنفساء / سرطنة / لماذا ؟ / أم عبده
- ١٢٥ فتيات المكاتب يشعلن رماد الانهيار :
زميلات ثلاث / مایسة / حسد / فكرة / الأتوبيس / المديرية .
- ١٣٩ صائدات البروق بهن رهنق من مللة :
القرمة / تنفيض / غناء / مخالسة / افتراس / فى زمرةتهم .
- ١٥١ كريات من غيم فوق ألداء الغواني :
سعاد / وجهها / يقين / دون جدوى / زهرة / ضمير /
الفتاة فى المنشقة الزرقاء / برنيسية / مسكنة / غسل .
- ١٦٩ اللالى يتوضان فى زهوة الجحيم :
فتاة التريكو / المرأة صاحبة الابتسامة / تانت عزيزة / ميراث
/ بهدوء / تربية / برش / محاولة للفهم .
- ١٨٣ بعد الرعد تهطل الأمطار :
أم محمد / المرأة الواقفة على السلم / غريمتان / طرشى /
مواجهة .

- ١٩٧ : للوطن منهن حضور .. للوطن فيهن نصيب :
تلك الفتاة / سامية وزفت الطين / تراشقات / نورانية / امرأة
بذيل / بلد / البنت في الثوب الأحمر / رياح / لا / التهاب .
- ٢٢١ : لؤلؤ المأقى نهشمه أقدام القساة :
قلب / قرار / دم ثخين / حمق / أم السعد / ضحك / خيبة .
- ٢٣٣ : ظلال تهطل على حواف الياض :
القطيع / مسامرة / تأجيل / تعاون / "إيه الضرر يعنى ؟"
/ أيتها البنت الجميلة لماذا طفوك هكذا ؟ / احتضار .

قائمة إصدارات مركز الحضارة العربية

روايات ..

إينارو	د. على فهمي خشيم	شجرة الخلد	سعد القرس
خواتم الجحش الذهبي	لوكيوس أبولوس	شهقة	سعيد بكر
مسالك الأحبة	ترجمة د. على فهمي خشيم	أيام هند	سيد الوكيل
العاشق والعشوق	خيرى عبد الجواد	فرد حمام	يوسف فاخوري
الخروج إلى النبع	خيرى عبد الجواد	خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوه
حافة الفردوس	محمد قطب	القوز للزمالك والنصر للأهلي	عبد اللطيف زيدان
الدميرة	نبيل عبد الحميد	ليس هناك ما يبهج	عبد خال
حمدان طليقاً	د. عبد الرحيم صديق	لا أحسد	عبد خال
ترانزيت	أحمد عمر شاهين	أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازي
مشوار	ليلي الشربيني	الشاعر والحرامي	عزت الحريري
الرجل	ليلي الشربيني	رشقات من قهوتي الساخنة	محمد محي الدين
رجال عرفتهم	ليلي الشربيني	شعر ..	

قصص قصيرة ..

مطربة الغروب	جمال الفيظاني	سراب القمر	فاروق خلف
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط	إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
حرب بلاد نهم	خيرى عبد الجواد	قصائد حب من العراق	البياتي وآخرون
حكايات الديب رماح	خيرى عبد الجواد	أول الرؤيا	إبراهيم زولى
حرب أطلالها	خيرى عبد الجواد	رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولى
سيرة عزيزة الجسر	سعد الدين حسن	نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
خلف النهاية بقبيل	وحيد الطويلة	فنيانا تناهينا	طارق الزباد
المنوع من السفر	شوتى عبد الحميد	صلاة المودع	صبرى السيد
		من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيرطلى
		غربة الصبح	محمد الفارس
		الغربة والعشيق	مجدي رياض

عطر النغم الأخضر	عمر غراب	ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
العجوز المروغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد	في المرجعية الاجتماعية للتفكير والإبداع	محمد الطيب
هذه الروح لى	نادر ناشد	زمن الرواية : صوت اللحظة الصاخبة	مجدى إبراهيم
فى مقام العشق	نادر ناشد	البعيد الغائب : نظرات فى القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
ندى على الأصابع	نادر ناشد	أعلام من الأدب العالمى	على عبد الفتاح
إذهب قبل أن أبكى	د. لطيفة صالح	المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
مسرح ..		أدب الشباب فى ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
هذه الليلة الطويلة	د. أحمد صدقى الدجاني	العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى	خليل إبراهيم حسونة
اللحبة الأبيمية .. (مسرحية شعرية)	محمد الفارس	تراث ..	
ملكة القروء	محمود عبد الحافظ	كشف المستور من قبائح ولاية الأمر	د. أحمد الصاوى
دراسات ..		رمضان .. زمان	د. أحمد الصاوى
آلهة مصر العربية	د. على فهمى خشيم	القصاص الشعبى فى مصر	إعداد خيرى عبد الجواد
رحلة الكلمات	د. على فهمى خشيم	إغاثة الأمة فى كشف الغمة	
بحثاً عن فرعون العربى	د. على فهمى خشيم	الفاشوش فى حكم قراقوش	
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم	الحكمة المبنية لابن المقفع	
مصر الفرعونية	سليمان الحكيم	فنون ..	
هاجس الكتابة	د. أحمد إبراهيم الفقيه	ماهى السينما	صلاح أبو سيف
تحديات عصر جديد	د. أحمد إبراهيم الفقيه	قضايا المونتاج المعاصر	د. هفت عبد العزيز
حصار الذاكرة	د. أحمد إبراهيم الفقيه	الصوت والضوضاء	د. مصطفى عبد اللطيف
الجات والتعبية الثقافية	د. مصطفى عبد الغنى		

بالإضافة إلى :

كتب متنوعة : سياسية - قومية - دينية - معارف عامة - أطفال .
 خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) : ملخصات الكتب - وثائق - النشرة الدولية -
 دراسات عربية - معلومات - ملفات صحفية موثقة.

الآراء الواردة فى الإصدارات لا تعبّر بالضرورة عن آراء يتبناها المركز

للمؤلف :

- انشودتان للحرب مسرحتيان ١٩٧٢
- الضحك قصص قصيرة ١٩٨١
- تنوعات بحرية قصص قصيرة ١٩٨٢
- صخرة التأمل قصص قصيرة ١٩٨٩
- حدود الإستطاعة قصص قصيرة ١٩٨٩
- غير المؤلف قصص قصيرة ١٩٩٥

تحت الطبع :

- لا تبحثوا عن عنوان.. إنها الحرب .. إنها الحرب - قصص قصيرة
- وتر مشدود - قصص قصيرة
- الديداموني - مسرحية .

خبرات أنثوية

اندفعن مبهورات إلى الشرفة المُنْداة
بتباشير المطر . تطلعن إلى قوس قزح إذ
يحتوي بيوتات المدينة ويصعد فوق البحر
ثم يعود فينشئ ويغوص في الأفق البعيد
.. هناك .. حيث لا يعرفن أين .. أحصين
الألوان المتجاورة وتواثبن داخل الشرفة
وملن إلى السور . مددن أذرعهن القصيرة ،
وفردن أكفهن الصغيرة حتى أمسكن بطرف
القوس . جاءت إحداهن بمقعد فتواثبن فوقه
واعتلين السور .. تشبثن بالقوس وحبين
صاعدات محاذرات ، الواحدة منهن تلو
الأخرى . ولما تمكنَّ منه ، واستقرت
أنفاسهن ، رُحْن يشقشن ويضحكن
ويصحن مأخوذات إذ يرين الأسطح المُنْداة
وقد صغرت وبعدت وأصبحت كتلك التي
يصنعنها بأيديهن في حصص الأشغال .
وعندما وصلن إلى القمة ، رأين السحب
حبلً بالمطر ، وسمعن أصواتها إذ تنن ،
ورأين البحر فراشاً رصاصياً مغطى
بالمشمع استعداداً لاستقبال نفثات المطر .

